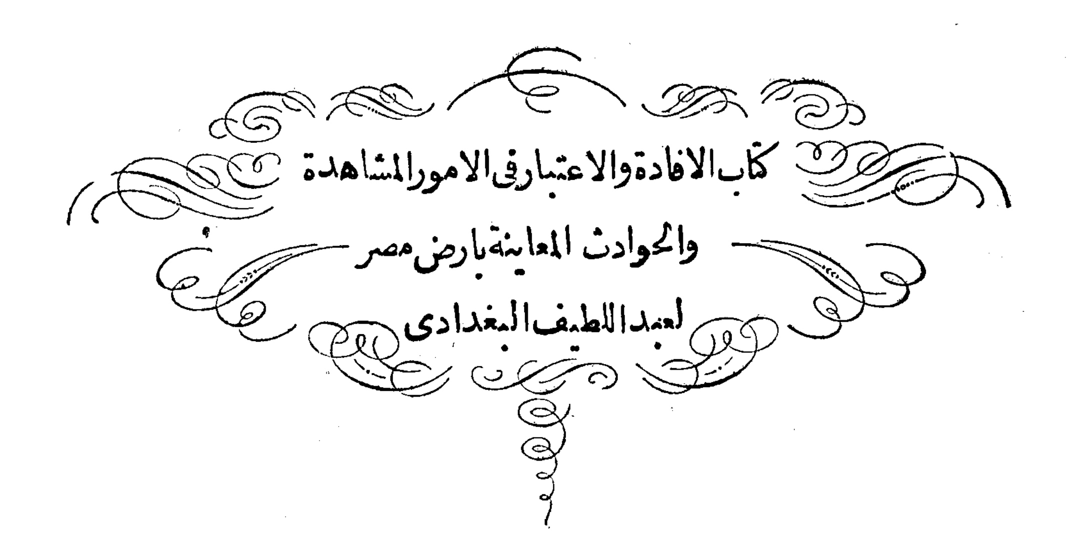
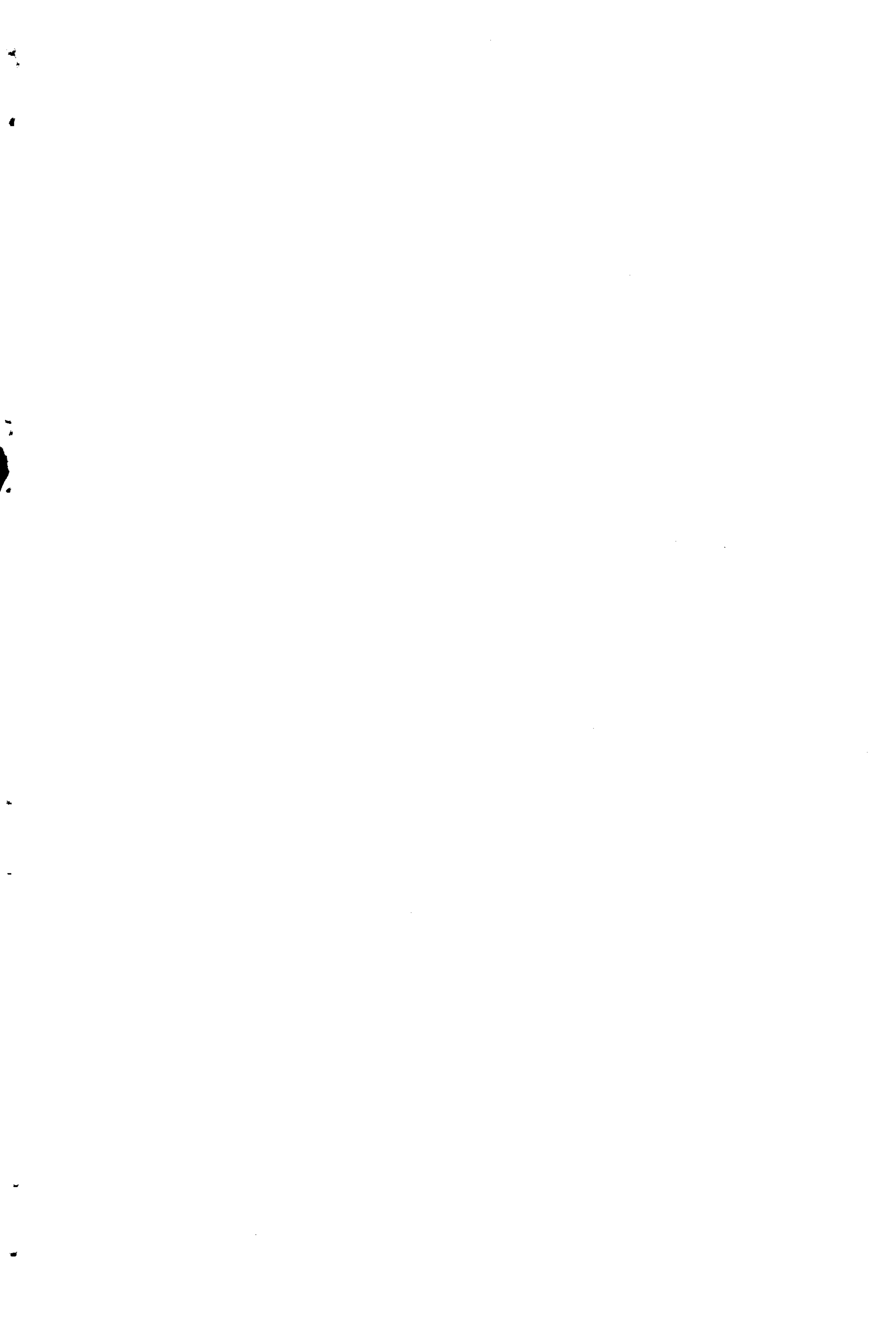


كتاب الافادة والاعتبار فى الامور المشاهدة
والحوادث المعاينة بارض مصر

لعبد اللطيف البغدادى

(طبعة اولى)
بمطبعة وادى النيل سنة ١٢٨٦



كتاب الافادة والاعتبار فى الامور
المشاهدة والحوادث
المعاينة بارض مصر
لعبد اللطيف
البغدادى

م

كتاب الافادة والاعتبار
فى الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر

لعبد اللطيف البغدادى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلواته على خاتم النبيين محمد النبى العربى وعلى آله الطاهرين
وبعد فانى لما أنهيت كتابى فى أخبار مصر المشتمل على ثلاثة عشر فصلا رأيت ان أفرد
منه الحوادث الحاضرة والآثار البادية المشاهدة اذ كانت أصدق خبرا وأعجب أثرا
وان ما عداها قد يوجد بعضه أو كله فى كتب من سلف مجتمعا أو مفترقا فالفيت ذلك فى
فصلين منه فجردتهما وجعلتهما مقالتين فى هذا الكتاب وزدت ونقصت بحسب
ما اقتضته الحال رجاء ان يخف انهاؤه ويلطف موقعه عند عرضه على صاحب الامر
وامام العصر امام الانام ومفترض الطاعة بموجب شريعة الاسلام خليفة الله فى أرضه
ومنتهى مقر وحيه والقيم على العالم بامضاء أمر الله تعالى فيهم ونهيه سيدنا ومولانا
الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين ذى المواقف المقدسة النبوية الطاهرة الزكية
الممجدة المعظمة الامامية الباهرة أنوارها الزاهرة آلاؤها لئلا ينطوى عن العلوم
الشريفة شئ من أخبار بلاده وان تراخت أو يخفى بعض أحوال رعاياه وان تناءت
وليعلم حفدة سدته وخواص دولته والعاكفون بحظيرة قدسه والطائفون بحرم كعبته
مقدار ما يدافع الله تعالى عنهم به فيزدادوا لله تعالى شكرا ليزيدهم بدوام دولة أمير
المؤمنين عليهم فضلا وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وعلى العبد التقرب بالانهاء
وان كانت العلوم النبوية اليها الانتهاء فان الله سبحانه تعبد أن يدعى جهرا وان كان يعلم
السر وأخفى ليظهر على الجوارح ما تكن الضمائر فيكمل للمرء المسلم مراتب الايمان الثلاث
عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح جعلنا الله ممن ترقى الى هذه الدرجة فى
طاعته بطاعة خليفته فى أرضه صلوات الله عليه وعلى الخلفاء الراشدين من قبله

❁(المقالة الاولى وهى ستة فصول)❁

❁(الفصل الاوّل)❁
(فى خواص مصر العامّة لها)

انّ أرض مصر من البلاد العجيبة الآثار الغريبة الاخبار وهى واد يكتنفه جبلان شرقى وغربى والشرقى أعظمهما يبتديان من أسوان و يتقاربان باسناحتى يكادا يتماسان ثم ينفرجان قليلا قليلا وكلما امتدّا طولا انفرجا عرضا حتى اذا أزيا الفسطاط كان بينهما مسافة يوم فما دونه ثم يتباعدان أكثر من ذلك والنيل ينساب بينهما ويتشعب بأسافل الارض وجميع شعبه تصب فى البحر الملح

وهذا النيل له خاصتان (الاولى) بعد مرماه فانا لانعلم فى المعمورة نهرا أبعد مسافة منه لانّ مباديه عيون تأتى من جبل القمر وزعموا انّ هذا الجبل وراء خط الاستواء باحدى عشرة درجة وعرض أسوان وهى مبدأ أرض مصر اثنتان وعشرون درجة ونصف درجة وعرض دمياط وهى أقصى أرض مصر احدى وثلاثون درجة وثلث درجة فتكون مسافة النيل على خط مستقيم ثلاثا وأربعين درجة تنقص سدسا ومساحة ذلك تقريبا تسع مائة فرسخ هذا سوى ما يأخذ من التعريج والتوريب فان اعتبر ذلك تضاعفت المساحة جدّا

والخاصة (الثانية) انه يزيد عند نضوب سائر الانهار ونشيش المياه لانه يبتدئ بالزيادة عند انتهاء طول النهار وتتناهى زيادته عند الاعتدال الخريفى وحينئذ تفتح الترع وتفيض على الاراضى وعلة ذلك ان موادّ زيادته أمطار غزيرة دائمة وسيول متواصلة تمدّه فى هذا الاوان فان أمطار الاقليم الاوّل والثانى انما تغزر فى الصيف والقيظ

وأما أرض مصر فلها أيضا خواص منها انه لا يقع بها مطر الا مالا احتفال به وخصوصا صعيدها فأما أسافلها فقد يقع بها مطر جود لكنه لا يفى بحاجة الزراعة وأما دمياط والاسكندرية وما داناها فهى غزيرة المطر ومنه يشربون وليس بأرض مصر عين ولا نهر سوى نيلها

ومنها ان أرضها رملية لا تصلح للزراعة لكنه يأتيها طين أسود علك فيه دسومة كثيرة يسمى الابليز يأتيها من بلاد السودان مختلطا بماء النيل عند مده فيستقر الطين وينضب الماء فيحرث ويزرع وكل سنة يأتيها طين جديد ولهذا يزرع جميع أراضيها ولا يراح شئ منها كما يفعل فى العراق والشام لكنها يخالف عليها الاصناف وقد لحظت العرب ذلك فانها تقول اذا كثرت الرياح جادت الحراثة لانها تجئ بتراب غريب وتقول أيضا اذا كثرت المؤتفكات زكا الزرع ولهذه العلة تكون أرض الصعيد زكية كثيرة الاتاء والريع اذ كانت أقرب الى المبدأ فيحصل فيها من هذا الطين مقدار كثير بخلاف أسفل الارض فانها أسافة مضوية اذ كانت رقيقة ضعيفة الطين لانه يأتيها الماء وقد راق وصفا ولا أعرف شبيها بذلك الا ما حكى لى عن بعض جبال الاقليم الاول ان الرياح تأتيه وقت الزراعة بتراب كثير ثم يقع عليه المطر فيتلبد فيحرث ويزرع فاذا حصد جاءته رياح أخرى فنسفته حتى يعود أجرد كما كان أولا

ومنها ان الفصول بها متغيرة عن طبيعتها التى لها فان أخص الاوقات باليبس فى سائر البلاد أعنى الصيف والخريف تكثر فيه الرطوبة بمصر بمدّ نيلها وفيضه لانه يمدّ فى الصيف ويطبق الارض فى الخريف فاما سائر البلاد فان مياهها تنش فى هذا الاوان وتغزر فى أخص الاوقات بالرطوبة أعنى الشتاء والربيع ومصر اذ ذاك تكون فى غاية القحولة واليبس ولهذه العلة تكثر عفوناتها واختلاف هوائها وتغلب على أهلها الامراض العفنية الحادثة عن اخلاط صفراوية وبلغمية وقلما تجد فيهم أمراضا صفراوية خالصة بل الغالب عليها البلغم حتى فى الشباب والمحرورين وكثيرا ما يكون مع الصفرا خام وأكثر أمراضهم فى آخر الخريف وأوّل الشتاء لكنها يغلب عليها جيد العاقبة وتقل فيهم الامراض الحادة والدموية الوحية وأما أصحاؤهم فيغلب عليهم الترهل والكسل وشحوب اللون وكمودته وقلما ترى فيهم مشبوب اللون ظاهر الدم وأما صبيانهم فضاوون يغلب عليهم الدمامة وقلة النضارة وانما تحدث لهم البدانة والقسامة غالبا بعد العشرين وأما ذكاؤهم وتوقد أذهانهم وخفة حركاتهم فلحرارة بلدهم الذاتية لانّ رطوبته عرضية ولهذا كان أهل الصعيد أقحل جسوما وأجف أمزجة والغالب عليهم السمرة وكان ساكنو الفسطاط الى دمياط أرطب أبدانا والغالب عليهم البياض

ولما

ولما رأى قدماء المصريين ان عمارة أرضهم انما هي بنيلها جعلوا أوّل سنتهم أوّل الخريف وذلك عند بلوغ النيل الغاية القصوى من الزيادة

ومنها ان الصبا محجوبة عنهم بجبلها الشرقى المسمى المقطم فانه يسترعنها هذه الريح الفاضلة وقلما تهب عليهم خالصة الاهم الانكبا ولهذا اختار قدماء المصريين ان يجعلوا مستقر الملك منف ونحوها مما يبعد عن هذا الجبل الشرقى الى الغربى واختار الروم الاسكندرية وتجنبوا موضع الفسطاط لقربه من المقطم فان الجبل يستر عما فى لحفه أكثر مما يستر عما بعد منه ثم ان الشمس يتأخر طلوعها عليهم فيقل فى هوائهم النضج ويبقى زمانا على نهوة الليل ولذلك تجد المواضع المنكشفة للصبا من أرض مصر أحسن حالا من غيرها ولكثرة رطوبته يتسارع العفن اليها ويكثر فيها الفار ويتولد من الطين والعقارب تكثر بقوص وكثيرا ما تقتل بلسعها والبق المنتن والذباب والبراغيث تدوم زمانا طويلا

ومنها ان الجنوب اذا هبت عندهم فى الشتاء والربيع وفيما بعد ذلك كانت باردة جدا ويسمونها المريسى لمرورها على أرض المريس وهى من بلاد السودان وسبب بردها مرورها على برك ونقائع والدليل على صحة ذلك انها اذا دامت أياما متوالية عادت الى حرارتها الطبيعية وأسخنت الهواء وأحدثت فيه يبسا

❊(الفصل الثانى)❊

(فيما تختص به من النبات)

من ذلك البامية وهى ثمر بقدر ابهام اليد كانه جرأ القثاء شديد الخضرة الاان عليه زيبرا مشوكا وهو مخمس الشكل يحيط به خمسة أضلاع فاذا شق انشق عن خمسة أبيات بينها حواجز وفى تلك الابيات حب مصطف مستدير أبيض أصغر من اللوبيا هش يضرب الى الحلاوة وفيه قبض ولعابية كثيرة يطبخ أهل مصر به اللحم بأن يقطع مع قشوره صغارا ويكون طعاما لا بأس به الغالب على طبعه الحرارة والرطوبة ولا يظهر فى طبيخه قبض بل لزوجة

ومن ذلك الملوخية ويسميها الاطباء الملوكية ولعمرى هى الخبازى البستانى والخطمى أيضا نوع من الخبازى البرى والملوخية أشد مائية ورطوبة من الخبازى وهى باردة

رطبة فى الاولى تزرع فى المباقل و يطبخ بها اللحم وهى كثيرة للعامة وتزرع أيضا بالشام قليلا و يطبخ بها عندهم فى الندرة وهى ردية للمعدة لكنها تسكن الحرارة وتبرد و يسرع انحدارها لتزلقها قال الاسرائيلى رأيت نوعا ثالثا من الخبازى يسمى بمصر ملوخية السودان و يعرف بالعراق بالشوشند يا وقوته وفعله وسط بين الملوخية والخبازى لانه أقل اغذاء من الملوخية وأكثر من الخبازى

ومن ذلك اللبخ وشجرته كالسدرة ريانضرة وثمرته بقدر الخلال الكبار وفى لونه الا انه مشبع الخضرة كلون المسن ومادام بجافه فيه قبض كما فى البلح فاذا نضج طاب وحلا وعاد فيه لزوجة ونواته كنواة الاجاص أو كقلب اللوزة بيضاء الى الغبرة وتكسر بسهولة فتنفلق عن لوزة ريا بيضاء لينة واذا بقيت ثلاثة أيام ضمرت وصلبت وكلما تطاول عليها الزمان اضمحل اللب و بقى القشر فارغا أو كالفارغ غير انه لا يتشنج بل يتقلقل اللب فيه لسعة المكان عليه وتجد فى طعم اللب مرارة ظاهرة ولذعا يبقى أثره فى اللسان مدة وقد حدثت على انه أحد ضروب الدند الثلاثة فقد قال ارسطو وغيره ان اللبخ كان بفارس سما قاتلا فنقل الى مصر فصار غذاء وقال نيقولاوس وأما اللبخ فقد كان فى أرض فارس قاتلا فنقل الى الشام والى مصر فصار جيدا مأكولا وهو قليل غال وانما تكون فى البلاد منه شجرات معدودات وأما خشبه ففى غاية الجودة صلب خمرى وأسود وهو عزيز ثمين وأهل مصر يحضرون اللبخ مع الفواكه والانقال وقال أبو حنيفة الدينورى اللبخ شجرة عظيمة مثل الاثاب اذا عظم وورقها كورق الجوز ولها جنا كجنا الحماط مر اذا أكل أعطش واذا شرب عليه الماء نفخ البطن وهو من شجر الجبال ثم روى عن رجل من صعيد مصر ان اللبخ شجر عظام أمثال الدلب له ثمر اخضر يشبه التمر حلو جدا الا انه كريه جيد لوجع الاضراس قال واذا نشر رعف ناشره ويشر فيبلغ ثمن اللوح خمسين دينارا ويجعله أصحاب المراكب فى بناء السفن لبعض العلل وزعم انه اذا ضم منه لوحان ضما شديدا وجعلا فى الماء سنة التحما وصارا لوحا واحدا وأكثر ما حكاه الدينورى لا أعرف صحته وقال ابن سمجون اللبخ يكون بمصر وثمرته جيدة للمعدة وقد يوجد عليه صنف من الرتيلا وورقه اذا جفف قطع الدم ذرورا والاسهال شربا وفيها قبض بين قال وأما نوى ثمره فيزعم أهل مصر ان أكله يحدث صمما

ومن

ومن ذلك الجميز وهو بمصر كثير جدا ورأيت منه شيأ بعسقلان والساحل وكأنه تين بري وتخرج ثمرته في الخشب لا تحت الورق ويخلف في السنة سبعة بطون ويوكل أربعة أشهر ويحمل وقرا عظيما وقبل ان يجنى بأيام يصعد رجل الى الشجرة ومعه حديدة يسم بها حبة حبة من الثمرة فيجرى منها لبن ابيض ثم يسود الموضع وتحلوا الثمرة بذلك الفعل وقد يوجد منه شئ شديد الحلاوة أحلى من التين لكنه لا ينفك في أواخر مضغه من طعم خشبية ماوشجرته كبيرة كشجرة الجوز العاتية ويخرج من ثمره وغصنته اذا فصدت لبن أبيض اذا طلى على ثوب أو غيره صبغه أحمر وخشبه تعمر به المساكن ويتخذ منه الابواب وغيرها من الآلات الجافية وله بقاء على الدهر وصبر على الماء والشمس وقلما يتأكل هذا مع انه خشب خفيف قليل اللدونة ويتخذ من ثمرته خل حاذق ونبيذ حاذ قال جالينوس الجميز بارد رطب فيما بين التوت والتين وهو ردى للمعدة ولبن شجرته له قوة ملينة تلصق الجراح وتفش الاورام ويلطخ على اسع الهوام ويحلل جساة الطحال وأوجاع المعدة ضمادا ويتخذ منه شراب للسعال المتقادم ونوزل الصدر والرية وعمله بان يطبخ في الماء حتى تخرج فيه قوته ويطبخ ذلك الماء مع السكر حتى ينعقد ويرفع وقال أبو حنيفة ومن أجناس التين تين الجميز وهو تين حلو رطب له معاليق طوال ويزبب وضرب آخر من الجميز حمله كالتين في الخلقة وورقة أصغر من ورق التين وتينه أصفر صغار وأسود ويكون بالغور ويسمى التين الذكر والاصفر منه حلو والاسود يدمى الفم وليس لتينه علاقة بل لاصق بالعود

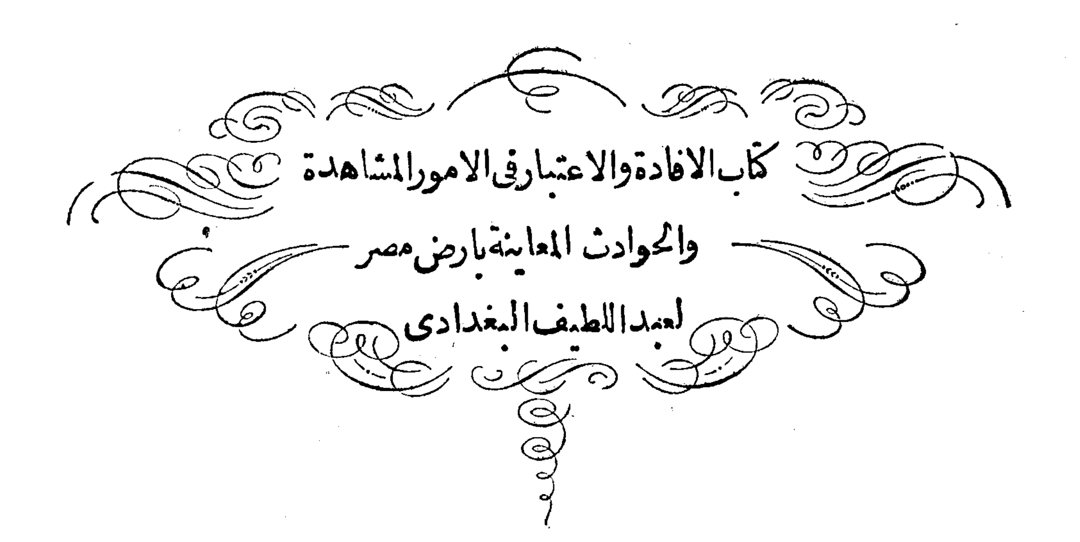
ومن ذلك البلسان فانه لا يوجد اليوم الا بمصر بعين شمس في موضع محاط عليه محتفظ به مساحته نحو سبعة أفدنة وارتفاع شجرته نحو ذراع وأكثر من ذلك وعليها قشران الاعلى أحمر خفيف والاسفل اخضر ثخين واذا مضغ ظهر في الفم منه دهنية ورائحة عطرة وورقه شبيه بورق السذاب ويجتنى دهنه عند طلوع الشعرى بأن تشدخ السوق بعد ما يحت عنها جميع ورقها وشدخها يكون بحجر يتخذ محددا ويفتقر شدخها الى صناعة بحيث يقطع القشر الاعلى ويشق الاسفل شقا لا ينفذ الى الخشب فان نفذ الى الخشب لم يخرج منه شئ فاذا شدخه كما وصفنا أمهله ريثما يسيل لثاه على العود فيجمعه باصبعه مسحا الى قرن فاذا امتلأ صبه في قناني زجاج ولا يزال كذلك حتى ينتهى جناه وينقطع لثاه وكلما كثر الندى

فى الجو كان لثاه أكثر وأغزر وفى الجدب وقلة الندى يكون اللثا أنزر ومقدار ما خرج منه فى سنة ست وتسعين وخمس مائة وهى عام جدب نيف وعشرون رطلا ثم تؤخذ القناني فتدفن الى القيظ وحمارة الحر وتخرج من الدفن وتجعل فى الشمس ثم تتفقد كل يوم فيوجد الدهن وقد طفا فوق رطوبة مائية وأثفال أرضية فيقطف الدهن ثم يعاد الى الشمس ولا يزال كذلك يشمسها ويقطف دهنها حتى لا يبقى فيها دهن فيؤخذ ذلك الدهن ويطبخه قيمه فى الخفية لا يطلع على طبخه أحدا ثم يرفعه الى خزانة الملك ومقدار الدهن الخالص من اللثا بالنثر ويقى نحو عشر الجملة وقال لى بعض أرباب الخبرة ان الذى يحصل من دهنه نحو من عشرين رطلا ورأيت جالينوس يقول ان أجود دهن البلسان ما كان بأرض فلسطين وأضعفه ما كان بمصر ونحن فلا نجد اليوم منه بفلسطين شيئا البتة وقال نيقولاوس فى كتاب النبات ومن النبات ماله رائحة طيبة فى بعض أجزائه ومنه ما رائحته الطيبة فى جميع أجزائه كالبلسان الذى يكون فى الشام بقرب بحر الزفت والبير التى يسقى منها تسمى بير البلسم وماؤها عذب وقال ابن سمجون انما يوجد فى زماننا هذا بمصر فقط ويستخرج دهنه عند طلوع كلب الجبار وهو الشعرى وذلك فى شباط ومقدار ما يخرج ما بين خمسين رطلا الى ستين ويباع فى مكانه بضعفه فضة وكأن هذه الحال قد كانت فى زمن ابن سمجون وحكى عن الرازى ان بدله دهن الفجل وهذا بعيد والبلسان الدهنى لا يثمر وانما تؤخذ منه فسوخ فتغرس فى شباط فتعلق وتنمى وانما الثمر للذكر البرى ولا دهن له ويكون بنجد وتهامة وبرارى العرب وسواحل اليمن وبأرض فارس ويسمى البشام ويربى قشره قبل استخراج دهنه فيكون نافعا من جميع السموم وأما خواصه ومنافعه فلا لائق بها غير هذا الكتاب

ومن ذلك القلقاس وهو أصول بقدر الخيار ومنه صغار كالاصابع يضرب الى حمرة خفيفة يقشر ثم يشقق على مثل الشلجم وهو كثيف مكتنز يشابه الموز الاخضر الفج فى طعمه وفيه قبض يسير مع حرافة قوية وهذا دليل على حرارته ويبسه فاذا سلق زالت حرافته جملة وحدث له مع ما فيه من القبض اليسير لزوجة مغرية كانت فيه بالقوة الا ان حرافته كانت تخفيها وتسترها ولذلك صار غذاؤه غليظا بطىء الهضم ثقيلا فى المعدة الا انه لما فيه من القبض والعفوصة صار مقويا للمعدة حابسا للبطن اذا لم يكثر منه ولما فيه من

اللزوجة

اللزوجة والتغرية صار نافعا من سحج المعا وقشره أقوى على حبس البطن من جرمه لان قبضه أشد ويطبخ فى السماقية وغيرها فيعود فى المرقة لزوجة يعافها من لا يعتادها ولكن اذا ساق وصبت سلاقته ثم قلى بالدهن حتى يتورد فلا بأس به والغالب على مزاجه الحرارة والرطوبة ويظهر من حاله انه مركب من جوهرين جوهر حار حريف يذهب بالطبخ وجوهر أرضى مائى ينمى بالطبخ وذلك كما فى البصل والثوم وما كان كذلك فهو نيا دوائى ومطبوخا غذائى وقد رأيته بدمشق لكن قليلا ورأيته اذا يبس يرجع خشبيا كالقسط سواء وأما ورقه فورق مستدير واسع على شكل خف البعير سواء لكنه أكبر منه ويكون قطر الورقة ما بين شبر الى شبرين ولكل ورقة قضيب مفرد فى غلظ الاصبع وطول شبرين أو أزيد ونبات كل قضيب من الاصل الذى فى الارض اذ ليس لهذا النبات ساق ولا ثمر أيضا وورق القلقاس شديد الخضرة رقيق البشرة شبيه بورق الموز فى خضرته ونعمته ورونقه ونضارته وقال ديوسقوريدس ان لهذا النبات زهرا على لون الورد فاذا عقد عقد شيئا شبيها بالجراب كانه نفاخة الماء وفيه باقلى صغير أصغر من الباقلى اليونانى يعلوه وضعه المواضع التى ليس فيها باقلى فمن أراد أن يزرعه فانما يأخذ ذلك الباقلى ويصيره فى كتل طين ويلقيها فى الماء فينبت وزعم انه يوكل طريا ويابسا وانه يعمل منه دقيق يشرب كالسويق ويعمل منه حسو فيقوى المعدة وينفع من الاسهال المرئ وسحوج الامعاء وانّ الشئ الاخضر الذى فى وسطه المر الطعم اذا سحق وخلط بدهن وقطر فى الاذن سكن وجعها وقال الاسرائيلى اما نحن فما شاهدنا له زهرا قال ورأيت أصل هذا النبات اذا خزن فى المنازل وجاء وقت نباته تفرع من الباقلى اللاصق به فروع وأنبت من غير ان يظهر له زهر ولا ثمر لكن لون الباقلاة نفسها كلون زهر الورد لانها حين تبزر وتأخذ فى النبات يخرج ما يبزر منها حسن البياض يعلوه توردٌ يسير قال وما وجدنا له جفافا يمكن معه ان يكون منه سويق ولا رأيناه السنة كلها الا رطبا مثل بصل النرجس وبصل الزعفران ونحوه قال ولم نر فى وسطه هذا الاخضر الذى ذكره ديوسقوريدس ولا وجدناه السنة كلها الا كالموز الاخضر أقول كلا بل الحق ما قاله ديوسقوريدس وانه يجف حتى يقبل السحق ويمكن ان يتخذ منه السويق وهذا رأيناه عيانا وانه اذا جف لا فرق بينه وبين

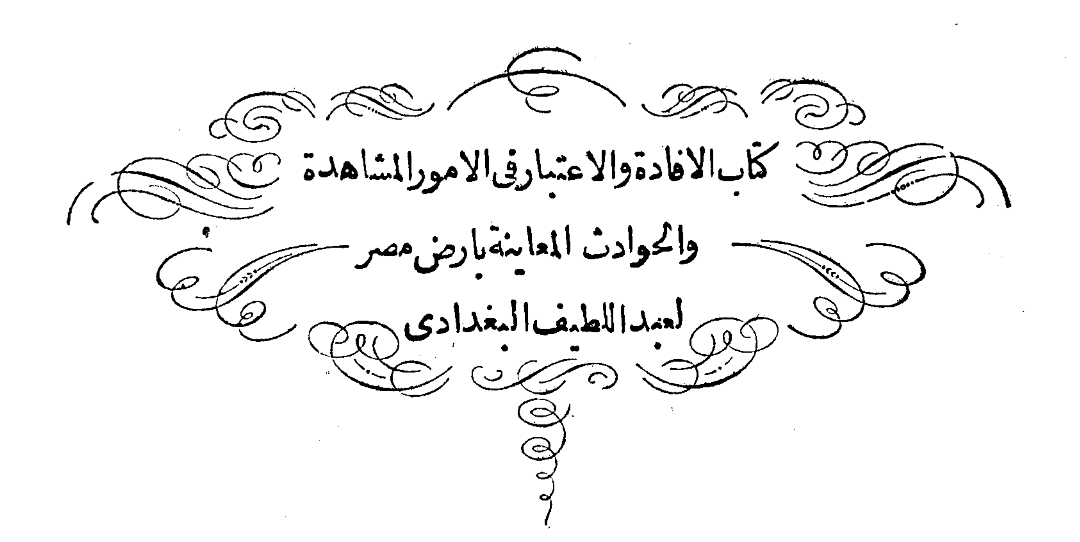


كتاب الافادة والاعتبار فى الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر

لعبد اللطيف البغدادى

(طبعة اولى)

بمطبعة وادى النيل سنة ١٢٨٦



كتاب الافادة والاعتبار فى الامور المشاهدة
والحوادث المعاينة بارض مصر

لعبد اللطيف البغدادى

(طبعة اولى)

بمطبعة وادى النيل سنة ١٢٨٦

وتبقى البواقى فراخالها ولاتزال على هذا ابدالدهر ولذلك قال أشعب لابنه فيما يروى عنه الاصمعى يابنى لم لاتكون مثلى فقال أنا مثل الموز لاتصلح حتى تموت أمها ومن نبات الموز الى أثمارها شهران و بين اطلاعها الى اجرائها أربعون يوما والموز موجود فى أوطانه السنة كلها ويكون فى القنو من أقنائها مابين ثلاثين موزة الى خمس مائة موزة ورأيت عند بعض تجار الهند حصرا حسنة لطيفة موشاة ذات وجهين ألوانها أحسن الالوان وأصباغها زهر خالصة كانها ألوان الحرير عرض الحصير منها نحو ذراعين ونصف وهو أسلة واحدة ليس فيه وصل فجعلت أعجب من طول الاسل الذى يسمى بمصر السمار فذكر لى انه ليس به وانما هو متخذ من ورق الموز الهندى بأن يؤخذ العسيب فيشقق ويجفف ثم يصبغ وينسج منه هذه الحصر ويباع الحصير منها فى المعبر بدينارين وفيها مايباع بدرهمين وأرانى من كلا الصنفين

وأما المحمضات فيوجد بارض مصر منها أصناف كثيرة لم أرها بالعراق من ذلك اترج كبار يعز وجود مثله ببغداد ومن ذلك اترج حلو ليس فيه حماض ومن ذلك الليمون المركب وهو أصناف أيضا ويوجد فيه ماهو بقدر البطيخة ومن ذلك الليمون المختم وهو أحمر شديد الحمرة اقنا حمرة من النارنج شديد الاستدارة مفلطح من رأسه وأسفله مفضوخ فيهما بختمين

ومن ذلك ليمون البلسم وهو فى قدر الابهام وكالبيضة المطاولة وفيه ماهو مخروط صحيح يبتدئ من قاعدة وينتهى الى نقطة وأما لونه وريحه وشحمه وحماضه فلا يغادر من الاترج شيئا

وقد يوجد اترج فى جوفه اترج بقشر أصفر أيضا وخبرنى صادق انه وجد فى جوف اترجة سبع اترجات صغار كل واحدة يحيط بها قشر تام والذى رأيته أنا اترجة فى جوفها اترجة ليست تامة وقد رأيت منه شيئا بالغور وهذا الاترج المداخل انما يكون فى ذى الحماض ثم ان هذه الانواع يركب بعضها على بعض فيتولد منها أصناف كثيرة جدا ومن ذلك صنف من التفاح يوجد بالاسكندرية ببستان واحد يسمى بستان القطعة وهو صغار جدا قانى الحمرة وأما رائحته فتفوق الوصف وتعلو على المسك وهو قليل جدا وأما القرط فيسمى بالعراق الرطبة وبالشام الفصة وبالفارسية اسفست

وأما النخل فكثير لكن اذا قيست ثمرته بثمرة نخل العراق وجدت كأنها قد طبخت طبخة خرج بها معظم حلاوتها وبقيت ناقصة القوة وما يسميه أهل العراق القسب يسميه أهل مصر التمر وأما التمر بالعراق فيسمونه العجوة وقلما تجد عندهم ما يشابه تمر العراق الا نادرا ويكون ذلك نخيلا معدودة تهدى تحفة

وأما الماش وهو المج فلا يزرع بمصر أصلا وانما يوجد عند العطارين مجلوبا من الشام ويباع بالاواقي للمرضى وأما الذرة والدخن فلا يعرفان بمصر اللهم الا بالصعيد الاعلى وخاصة الدخن

ومما يختص به مصر الافيون وهو يجتنى من الخشخاش الاسود بالصعيد وكثيرا ما يغشه جناته وربما غشوه بالعذرة وعلامة الخالص منه ان يذوب فى الشمس ويتقد فى السراج بلا ظلمة واذا طفى تكون رائحته قوية والمغشوش يسوس سريعا وارسطو ينهى عن خلطه بدواء العين والاذن لانه يعمى ويصم

ومن ذلك الاقاقيا وهو عصارة ورق شجر القرظ وثمره يستخرج ماؤه بالدق والعصر ويجعل فى أوان مرحرحة تلقاء الشمس حتى يغلظ ثم يقرص هذا هو الخالص الخاص وأما العام الذى يجلب الى البلاد فانه يؤخذ القرظ فيطحن ويعجن بماء الصمغ ثم يقرص ويختم ويجفف وشجرته هى السنط وتسمى الشوكة المصرية وورقها هو القرظ بالحقيقة ويدبغ به الجلود وعصارة القرظ التى يتخذ منها الاقاقيا تسمى رب القرظ ونساء مصر يشربن عصارته ونقيعه للاسهال والسنط شجر عظام جدا له شوك كثير حديد صلب أبيض وله ثمر يسمى خروب القرظ مدور مسطوح مشا كل لحب الترمس الا انه متصل كقرون اللوبيا وفى داخله حب صغار واذا اتخذ الاقاقيا من القرظ قبل كمال نضجه كان أكثر قبضا وأقوى على حبس الطبيعة واذا اتخذ مما استحكم نضجه لم يقو على حبس البطن وعلامته ان يكون شديد السواد مشرق اللون وقال الدينورى القرظ شجر عظام كشجر الجوز وخشبه صلب كالحديد واذا قدم اسود كالابنوس وورقه يشبه ورق التفاح وله حبلة مثل قرون اللوبيا داخلها حب يوضع فى الموازين ويدبغ بورقه وثمره ومنابته القيعان والجبال وحبلة القرظ أصغر من علف الطلح واذا رعته الابل احمرت أفواهها وأوبارها حتى ابعارها فتحسبها عصفرا قد جمع وتسمن عليه وما كان من القرظ

بأرض مصر فهو السنط وهو ذكى الوقود قليل الرماد وله برمة صفراء ليس لها رائحة زكية كبرم العراق

ومن ذلك الفقوص وهو قثاء صغار لا يكبر ولا يعدو أطوله الفتر وأكثره فى طول الاصبع وهو أنعم من القثاء وأحلى ولا شك انه صنف منه وكانه الضغابيس فأما القثد فهو الخيار

ويوجد بمصر بطيخ يسمى العبدلى والعبدلاوى قيل انه نسب الى عبد الله بن طاهر والى مصر عن المأمون وأما المزارعون فيسمونه البطيخ الدميرى منسوب الى دميرة قرية بمصر وله أعناق ملتوية وقشره خفيف وطعمه مسيخ قلما يوجد فيه حلو ويندر فيه ما وزنه ثلاثون رطلا وأكثر والغالب عليه ما بين رطل الى عشرة أرطال وأهل مصر يستطيبونه على البطيخ المولد المسمى عندهم بالخراسانى والصينى ويزعمون انه نافع ويأكلونه بالسكر وطعمه أشبه شئ بالصنف المسمى بالعراق الشلنق لكنه الذ منه وأنعم وشكله شكل يقطين العراق الآن لونه حسن الصفرة جدا وفى ملمسه حراشة وتخشيش وصغاره قبل أن تبلغ تكون كلون اليقطين وشكله وكطعم القثاء لها بطون وأعناق وتباع بالفقوص وتسمى العجور وأخبرنى مزارعه ان العادة جارية بأن ينقى حقله كل يوم فما يرى مزارعه ان يقطعه صغيرا أخضر قطعه وباعه بالعجور وما يرى ان يتركه حتى يكبر ويبلغ ويصفر كان منه البطيخ العبدلى وقلما تجد فى بطيخ مصر ما هو صادق الحلاوة لكنه لا يوجد فيه مدود ولا فاسد بل الغالب عليه التفاهة المائية وجميع أصناف البطيخ بها يباع بالميزان سوى البطيخ الاخضر وأما البطيخ الاخضر فانه يسمى بالغرب الدلاع وبالشام البطيخ الزبش وبالعراق البطيخ الرقى ويسمى أيضا الفلسطينى والهندى وأما اليقطين الذى يقصره الجمهور على الدبا فيكون بمصر مستطيلا وفى شكل القثاء ويبلغ فى طوله الى ذراعين وفى قطره الى شبر

وأما الباقلى الاخضر المسمى عندهم بالغول فانه يتواصل نحو ستة أشهر وكذلك الورد والياسمين يدوم جميع السنة لا تزال شجرته مزهرة ومنه أبيض وأصفر والابيض أكثر وأعطر ومنه يتخذ دهن الزنبق بدمياط خاصة

وكذلك الليمون وانما يقل ويكثر فقط والبنفسج بمصر عطر جدا لكن لا يحسنون اتخاذ

دهنه

دهنه ولاه بحونه والسفرجل بمصر ردىء جدا صغير عفص غال وأما تفاحها فلا بأس به وان كان رديئا وأما رمانها ففى غاية الجودة الا انه ليس بصادق الحلاوة
وأما القراسيا فلا يوجد بمصر بل بالشام و بلاد الروم وغيرهما وانما بمصر صنف من الاجاص صغار حامض يسمونه القراسيا ومثل هذا الصنف بدمشق يسمونه خوخ الدب لان الاجاص بالشام يسمى خوخا والخوخ دراقنا والكمثرى اجاصا
ومما يكثر بمصر شجر خيار شنبر وهو شجر عظام شبيه بشجر الخروب الشامى وزهره كبير أصفر ناضر ذو رواء وبهجة فاذا عقد تدلى ثمره كالمقارع الخضر وبها شجر اللوز والسدر بها كثير وثمره النبق حلو جدا والنيل يكثر بها ولكنه دون الهندى

❊(الفصل الثالث)❊

(فيما تختص به من الحيوان)

من ذلك حضانة الفراريج بالزبل فانه قلما ترى بمصر فراريج عن حضان الدجاجة وربما لم يعرفوه أيضا وانما ذلك عندهم صناعة ومعيشة يحترفها ويكتسب منها وتجد فى كل بلد من بلادهم مواضع عدة تعمل ذلك و يسمى الموضع معمل الفروج وهذا المعمل ساحة كبيرة يتخذ فيها من البيوت التى يأتى ذكرها ما بين عشرة أبيات الى عشرين بيتا فى كل بيت ألفا بيضة و يسمى بيت الترقيد
وصفته ان يتخذ بيت مربع طوله ثمانية أشبار فى عرض ستة فى ارتفاع أربعة و يجعل له باب فى عرضه سعته شبران وعقد فى مثله وتجعل فوق الباب طاقة مستديرة قطرها شبر ثم تسقف بأربع خشبات وفوقها سدة قصب يعنى نسيجا منه وفوقه ساس وهو مشاقة الكتان وحطبه ومن فوق ذلك الطين ثم يرصص بالطوب و يطين سائر البيت ظاهره وباطنه وأعلاه وأسفله حتى لا يخرج منه بخار و ينبغى ان تتخذ فى وسط السقف شباكا سعته شبر فى شبر فهذا السقف يحكى صدر الدجاجة ثم تتخذ حوضين من الطين مخمر بساس طول الحوض ستة أشبار وعرضه شبر ونصف وسمكه عقدة أصبع وحيطانه نحو أربع أصابع و يكون هذا الحوض لوحا واحدا تبسطه على أرض معتدلة وهذا الحوض يسمى الطاجن فاذا جف الطاجنان ركبتهما على طرفى السقف أحدهما على وجه الباب والآخر قبالته على الطرف الآخر تركيبا محكما وأخذت وصولهما بالطين أخذا

متقنا و ينبغي ان يكون قعود الطاجنين على خشب السقف بحيث يماسانه وهذان الطاجنان تحاكي بهما جناحا الدجاجة ثم يفرش البيت بقفة تبن ويمهد ويفرش فوقه نخ خب أوديس يعنى حصيرا برديا على مقداره سواء ثم يرصف فوقه البيض رصفا حسنا بحيث يماس ولا يتراكب لتتواصل الحرارة فيه ومقدار ما يسع هذا البيت المفروض ألفا بيضة وهذا الفعل يسمى الترقيد

صفة الحضان تبتدئ وتسد الباب بأن ترسل عليه لبدا مهندما ثم تسد الطاقة بساس والشباك أيضا بساس وفوقه زبل حتى لا يبقى في البيت متنفس للبخار وتلقى في الطاجنين من زبل البقر اليابس قفتين وذلك ثلاث ويبات وتقد فيه نارسراج من جميع جهاته وتمهله ريثما يرجع رمادا وأنت تتفقد البيض ساعة بعد أخرى بأن تضعه على عينك وتعتبر حرارته وهذا الفعل يسمى الذواق فان وجدته يلذع العين قلبته ثلاث تقليبات في ثلاث دفعات تجعل أسفله أعلاه وأعلاه أسفله وهذا يحاكي تقليب الدجاجة للبيض بمنقارها وتفقدها اياه بعينها وهذا يسمى السماع الاول فاذا صار الزبل رمادا أزلته وتركته بلا نار الى نصف النهار ان كان ترقيده بكرة وان كان ترقيده من أول الليل حرسته الى ان تحمى وتسمع النار كالسياقة المتقدمة ثم تخلي الطاجنين من النار الى بكرة ثم تجعل في الطاجن الذي على باب البيت من الزبل ثلاثة أقداح وفي الطاجن الذي على صدر البيت قدحين ونصفا ومد الزبل بعرود غليظ واطرح في كل منهما النار في موضعين منه وكلما خرجت من البيت بعد تفقده فارخ الستر واياك وان تغفل عنه ليلا يخرج البخار ويدخل الهواء فيفسد العمل فاذا كان وقت العشاء وصار لزبل رمادا ونزل الدفء الى البيض أسفل البيت فغير الرماد من الطواجن بزبل جديد مثل الاول وأنت كل وقت تلمس البيض وتذوقه بعينك فان وجدت حرارته زائدة عن الاعتدال تلذع العين فاجعل مكان الثلاثة الاكيال لطاجن الباب كيلين وربعا وفي طاجن الصدر كيلين فقط ولا تزال تواصل تغير الرماد وتجديد الزبل والايقاد حتى لا ينقطع الدفء مدة عشرة أيام بمقدار ما تكمل الشخوص بمشيئة الله وقدرته وذلك نصف عمر الحيوان ثم تدخل البيت بالسراج وترفع البيض واحدة واحدة وتقيمها بينك وبين السراج فالتي تراها سوداء ففيها الفرخ والتي تراها شبه شراب أصفر في زجاج لا عكر فيه فهي لاح بلابزر وتسمى الارملة

فاخرجها

فأخرجها فلا منفعة فيها ثم عدل البيض فى البيت بعد تنقيته وأخرج اللاح عنه وهذا الفعل يسمى التلويح ثم تصبح بعد التلويح تنقص الزبل من العيار الاول مل ء كفك من كل حوض بكرة ومثله عشية حتى يتصرم اليوم الرابع عشر ولم يبق من الزبل شئ فحينئذ يكمل الحيوان ويسعر وينفخ فاقطع اذا النار عنه فان وجدته زائد الحرارة يحرق العين فافتح الطاقة التى على وجه الباب وخلها كذلك يومين ثم ذقه على عينك فان وجدته غالب الحرارة فافتح نصف الشباك وأنت مع ذلك تقلبه وتخرج البيض الذى فى الصدر الى جهة الباب والبيض الذى فى جهة الباب ترده الى الصدر حتى يحمى البارد الذى كان فى جهة الباب ويستريح الحار الذى فى الصدر بشم الهواء فيصير فى طريقة الاعتدال ساعة يحمى وساعة يبرد فيعتدل مزاجه وهذا الفعل يسمى الحضانة كما يفعل الطير سواء وتستمر على هذا التدبير دفعتين فى النهار ودفعة فى الليل الى تمام تسعة عشر يوما فان الحيوان ينطق فى البيض بقدرة الله تعالى وفى يوم العشرين يطرح بعضه ويكسر القشر ويخرج وهذا يسمى التطريح وعند تمام اثنين وعشرين يوما يخرج جميعه واجد الاوقات عاقبة لعمله أمشير وبرمهات وبرمودة وذلك فى شباط واذار ونيسان لان البيض فى هذه المدة يكون غزير الماء كثير البزرة صحيح المزاج والزمان معتدل صالح للنشأ والكون وينبغى ان يكون البيض طريا وفى هذه الاشهر يكثر البيض أيضا

ومن ذلك الحمير والحمير بمصر فارهة جدا وتركب بالسروج وتجرى مع الخيل والبغال النفيسة ولعلها تسبقها وهى مع ذلك كثيرة العدد ومنها ما هو عال بحيث اذا ركب بسرج اختلط مع البغلات يركبه رؤساء اليهود والنصارى يبلغ ثمن الواحد منها عشرين دينارا الى أربعين

وأما بقرهم فعظيمة الخلق حسنة الصور ومنها صنف هو أحسنها وأغلاها قيمة يسمى البقر الخيسية وهى ذوات قرون كأنها القسى غزيرات اللبن

وأما خيلها فعتاق سابقة ومنها ما يبلغ ثمنه ألف دينار الى اربعة آلاف وهم ينزون الخيل على الحمير والحمير على الخيل فتأتى البغلة وأمها اتان ولكن هذه البغال لا تكون عظيمة الخلق كالتى أمهاتها حجورة لان الام هى التى تعطى المادة

ومن ذلك التماسيح والتماسيح كثيرة فى النيل وخاصة فى الصعيد الاعلى وفى الجنادل فانها تكون فى الماء و بين صخور الجنادل كالدود كثرة وتكون كبارا وصغارا وتنتهى فى الكبر الى نيف وعشرين ذراعا طولا وتوجد فى سطح جسده مما يلى بطنه سلعة كالبيضة تحتوى على رطوبة دموية وهى كافجة المسك فى الصورة والطيب وخبر نى الثقة انه يندر فيها ما يكون فى علو المسك لا ينقص عنه شيأ والتمساح يبيض بيضا شبيها ببيض الدجاج ورأيت فى كتاب منسوب الى ارسطوما هذه صورته قال التمساح كبده تهيج الجماع وكليتاه وشحمه فى ذلك أبلغ ولا يعمل فى جلده الحديد ومن فقار رقبته الى ذنبه عظم واحد ولهذا اذا انقلب على ظهره لم يقدران يرجع قال و يبيض بيضا طويلا كالاوز و يدفنه فى الرمل فاذا أخرج كان كالحراذين فى جسمها وخلقتها ثم يعظم حتى يكون عشر أذرع وأزيد و يبيض ستين بيضة لان خلقته تجرى على ستين سنا وستين عرقا واذا سفد امنى ستين مرة وقد يعيش ستين سنة

ومن ذلك الدلافين ويوجد فى النيل وخاصة قرب تنيس ودمياط

ومن ذلك الاسقنقور و يكون بالصعيد وباسوان كثيرا ويكون من نتاج التمساح فى البر وهو صنف من الورل بل هو ورل الا انه قصير الذنب والورل والتمساح والحرذون والاسقنقور وسميكة صيدا لها كلها شكل واحد وانما تختلف بالصغر والكبر والتمساح أعظمها وسميكة صيدا أصغرها تكون بقدر الاصبع وتصلح لما يصلح له الاسقنقور من تسخين الاعضاء والانعاظ وكأن التمساح ورل بحرى والورل تمساح برى والجميع يبيض بيضا والسقنقور يكون بشطوط النيل ومعيشته فى البحر السمك الصغار وفى البر العظا ونحوه و يسترط غذاه استراطا ويوجد لذكورته خصيان كخصى الديكة وفى مقدارهما ومواضعهما وأناثه تبيض فوق العشرين بيضة وتدفنها فى الرمل فيكمل كونها بحرارة الشمس فعلى هذا انما هو نوع برأسه وقال ديسقوريدس انه يكون بنواحى القلزم و بمواضع من بلاد الهند و بلاد الحبشة و يفارق الورل بمأواه فان الورل جبلى والسقنقور برى مائى لانه يدخل فى ماء النيل ثم ان ظهر الورل خشن صلب وظهر السقنقور لين ناعم ولون الورل أصفر أغبر ولون السقنقور مدبج بصفرة وسواد والمختار من الاسقنقور انما هو الذكر دون الانثى و يصاد فى الربيع لانه وقت هيجانه للسفاد فاذا

أخذ

أحذ ذبح في مكانه وقطعت أطرافه ولا يستقصى قطع ذنبه ويشق جوفه ويخرج حشوته
الا كشيته وكلاه ثم يحشى ملحا ويخاط ويعلق في الظل حتى يجف ويرفع ويسقى من كلاه
ومتنه وشحمه وسرته من مثقال الى ثلاثة مثاقيل بماء العسل أو بمطبوخ أو بصفرة بيض
نيمرشت وحده أومع بزرجرجير وخصى ديوك مجفف مدقوق وقد يفعل ملحه ذلك اذا خالط
بالادوية البائية وقد يركب مع غيره من الادوية الان استعماله مفردا أقوى له
ومن ذلك فرس البحر وهذه توجد بأسافل الارض وخاصة ببحر دمياط وهو حيوان عظيم
الصورة هائل المنظر شديد البأس يتتبع المراكب فيغرقها ويهلك من ظفر به منها
وهو بالجاموس أشبه منه بالفرس لكنه ليس له قرن وفي صوته صهلة تشبه صهيل
الفرس بل البغل وهو عظيم الهامة هريت الاشداق حديد الانياب عريض الكلكل
منتفخ الجوف قصير الارجل شديد الوثب قوى الدفع مهيب الصورة مخوف الغائلة
وخبرني من اصطاده مرات وشقها وكشف عن أعضائها الباطنة والظاهرة انها خنزير
كبير وان أعضاءها الباطنة والظاهرة لا تغادر من صورة الخنزير شيئا الا في عظم الخلقة
ورأيت في كتاب نيطواليس في الحيوان ما يعضد ذلك وهذه صورته قال خنزيرة الماء
تكون في بحر مصر وهي تكون في عظم الفيل ورأسها يشبه رأس البغل ولها شبه
خف الجمل قال وشحم متنها اذا أذيب ولت بسويق وشربته امرأة أسمنها حتى تجوز
المقدار وكانت واحدة ببحر دمياط قد ضربت على المراكب تغرقها وصار المسافر في
تلك الجهة مغررا وضربت أخرى بجهة أخرى على الجواميس والبقر وبني آدم تقتلهم
وتفسد الحرث والنسل وأعمل الناس في قتلهما كل حيلة من نصب الحبائل الوثيقة
وحشد الرجال باصناف السلاح وغير ذلك فلم يجد شيأ فاستدعى بنفر من المريس صنف
من السودان زعموا انهم يحسنون صيدها وانها كثيرة عندهم ومعهم مزاريق فتوجهوا
نحوهما فقتلوهما في أقرب وقت وباهون سعي واتوا بهما الى القاهرة فشاهدتهما
فوجدت جلدها أسود أجرد ثخينا جدا وطولها من رأسها الى ذنبها عشر خطوات
معتدلات وهي في غلظ الجاموس نحو ثلاث مرات وكذلك رقبتها ورأسها وفي مقدم فيها
اثنا عشر نابا ستة من فوق وستة من أسفل المتطرفة منها نصف ذراع زايد والمتوسطة
أنقص بقليل وبعد الانياب أربعة صفوف من الاسنان على خطوط مستقيمة في طول

الفم في كل صف عشرة كامثال بيض الدجاج المصطف صفان في الاعلى وصفان في الاسفل على مقابلتهما واذا فغر فوها وسع شاة كبيرة وذنبها في طول نصف ذراع زائد أصله غليظ وطرفه كالاصبع أجرد كأنه عظم شبيه بذنب الورل وأرجلها قصار طولها نحو ذراع وثلث ولها شبيه بخف البعير الا انه مشقوق الاطراف باربعة أقسام وأرجلها في غاية الغلظ وجملة جثتها كانها مركب مكبوب لعظم منظرها وبالجملة هي أطول وأغلظ من الفيل الا ان أرجلها أقصر من أرجل الفيل بكثير ولكن في غلظها أو أغلظ منها

ومن ذلك السمكة المعروفة بالرعاد لانه من أمسكها وهي حية ارتعد رعدة لا يمكنه معها ان يتماسك وهي رعدة بقوة وخدر شديد وتمل في الاعضاء وثقل بحيث لا يقدر ان يملك نفسه ولا ان يمسك بيده شيأ أصلا ويترافى الخدر الى عضده وكتفه والى جنبه باسره حين ما يلمسها أيسر لمس في أسرع وقت وخبرني صيادها انها اذا وقعت في الشبكة اعترى الصياد ذلك اذا بقي بينه وبينها مقدار شبر أو أكثر من غير ان يضع يده عليها وهي اذا ماتت بطلت هذه الخاصة منها وهي من السمك الذي لا تفاديس له ولحمها قليل الشوك كثير الدسم ولها جلد ثخين في ثخن الاصبع ينسلخ عنها بسهولة ولا يمكن أكله ويوجد فيها الصغير والكبير ما بين رطل الى عشرين رطلا وذكر من يكثر السباحة بنواحيها انها اذا نفخت بدن السابح خدر الموضع أين كان ساعة بحيث يكاد يسقط وتكثر باسافل الارض وبالاسكندرية

وأما أصناف السمك عندهم فكثيرة لانه يجتمع اليهم سمك النيل وسمك البحر الملح ولا يفي القول بنعتها لكثرة أصنافها واختلاف أشكالها وألوانها ومنها الصنف المسمى عندهم ثعبان الماء وهي سمكة كالحية سواء طولها ما بين ذراع الى ثلاث أذرع

ومنها السرب وهي سمكة تصاد من بحر الاسكندرية تحدث لآكلها أحلام ردية مفزعة ولاسيما الغريب ومن لم يعتدها والاحدوثات المضحكة فهي مشهورة

ومن ذلك الترسة وتسمى لجاة وهي سلحفاة عظيمة وزنها نحو أربعة قناطير الا ان جفنتها أعني عظم ظهرها كالترس له أفاريز خارجة عن جسمها نحو الشبر ورأيتها بالاسكندرية يقطع لحمها ويباع كلحم البقر وفي لحمها ألوان مختلفة ما بين أخضر وأحمر وأصفر وأسود وغير ذلك من الالوان وتخرج من جوفها نحو أربع مائة بيضة كبيض الدجاج سواء

الا

الا انه لين القشر واتخذت من بيضها الحجة فلما جمد صار ألوانا ما بين أخضر وأحمر وأصفر شبيها بألوان اللحم ومن ذلك الدلينس وهو صدف مستدير الى الطول أكبر من الظفر ينشق عن رطوبة مخاطية بيضاء ذات نكتة سوداء يعافها الناظر وفيه ملوحة عذبة زعموا ويباع بالكيل

❀(الفصل الرابع)❀

(في اقتصاص ماشوهد من آثارها القديمه)

اما ما يوجد بمصر من الآثار القديمة فشئ لم أر ولم أسمع بمثله في غيرها فاقتصر على أعجب ماشاهدته

فمن ذلك الاهرام وقد أكثر الناس من ذكرها ووصفها ومساحتها وهي كثيرة العدد جدا وكلها ببر الجيزة وعلى سمت مصر القديمة وعتد في نحو مسافة يومين وفي بوصير منها شئ كثير وبعضها كبار وبعضها صغار وبعضها طين ولبن وأكثرها حجر وبعضها مدرج وأكثرها مخروط املس وقد كان منها بالجيزة عدد كثير لكنها صغار فهدمت في زمن صلاح الدين يوسف بن أيوب على يدي قراقوش بعض الامراء وكان خصيا روميا سامي الهمة وكان يتولى عمائر مصر وهو الذي بنى السور من الحجارة محيطا بالفسطاط والقاهرة وما بينهما وبالقلعة التي على المقطم وهو أيضا الذي بنى القلعة وانبط فيها البيرين الموجودتين اليوم وهما أيضا من العجائب وينزل اليهما بدرج نحو ثلثمائة درجة وأخذ حجارة هذه الاهرام الصغار وبنى بها القناطر الموجودة اليوم بالجيزة وهذه القناطر من الابنية العجيبة أيضا ومن أعمال الجبارين وتكون نيفا وأربعين قنطرة وفي هذه السنة وهي سنة سبع وتسعين وخمس مائة تولى أمرها من لا بصيرة عنده فسدها رجاء ان يحتبس الماء فيروي الجيزة فقويت عليها جرية الماء فزلزلت منها ثلاث قناطر وانشقت ومع ذلك فلم يرو ما رجا ان يروى وقد بقي من هذه الاهرام المهدومة قلبها وحشوتها وهي ردم وحجارة صغار لا تصلح للقناطر فلاجل ذلك تركت

وأما الاهرام المتحدث عنها المشار اليها الموصوفة بالعظم فثلاثة اهرام موضوعة على خط مستقيم بالجيزة قبالة الفسطاط وبينها مسافات يسيرة زواياها متقابلة نحو المشرق واثنان منها عظيمان جدا وفي قدر واحد وبهما أولع الشعراء وشبهوهما بنهدين

قد نهدا فى صدر الديار المصرية وهما متقاربان جدا ومبنيان بالحجارة البيض
وأما الثالث فينقص عنهما بنحو الربع لكنه مبنى بحجارة الصوان الاحمر المنقط
الشديد الصلابة ولا يؤثر فيه الحديد الا فى الزمن الطويل وتجده صغيرا بالقياس الى
ذينك فاذا قربت منه وأفردته بالنظر هالك مرآه وحسر الطرف عند تأمله وقد سلك فى
بناية الاهرام طريق عجيب من الشكل والاتقان ولذلك صبرت على ممر الزمان بل على
ممرها صبر الزمان فانك اذا تبحرتها وجدت الاذهان الشريفة قد استهلكت فيها
والعقول الصافية قد أفرغت عليها مجهودها والانفس النيرة قد أفاضت عليها
أشرف ما عندها لها والملكات الهندسية قد أخرجتها الى الفعل مثلا هى غاية
امكانها حتى انها تكاد تحدث عن قومها وتخبر بحالهم وتنطق عن علومهم وأذهانهم
وتترجم عن سيرهم وأخبارهم وذلك ان وضعها على شكل مخروط يبتدئ من قاعدة
مربعة وينتهى الى نقطة ومن خواص الشكل المخروط ان مركز ثقله فى وسطه وهو
يتساند على نفسه ويتواقع على ذاته ويتحامل بعضه على بعض فليس له جهة أخرى
خارجة عنه يتساقط عليها ومن عجيب وضعه انه شكل مربع قد قوبل بزواياه
مهاب الرياح الاربع فان الريح تنكسر سورتها عند مصادمتها الزاوية وليست
كذلك عند ما تلقى السطح

ولنرجع الى ذكر الهرمين العظيمين فان المساح ذكروا ان قاعدة كل منهما أربع مائة
ذراع طولا فى مثلها عرضا وارتفاع عمودها أربع مائة ذراع وذلك كله بالذراع السودا
وينقطع المخروط فى أعلاه عند سطح مساحته عشر أذرع فى مثلها وأما الذى شاهدته من
حالهما فان راميا كان معنا رمى سهما فى قطر أحدهما وفى سمكه فسقط السهم دون
نصف المسافة وخبرنا ان فى القرية المجاورة لها قوما قد اعتادوا ارتقاء الهرم بلا كلفة
فاستدعينا رجلا منهم ورضخنا له بشئ فجعل يصعد فيها كما يرقى أحدنا فى الدرج بل أسرع
ورقى بنعليه وأثوابه وكانت سابغة وكنت أمرته انه اذا استوى على سطحه قاسه بعمامته
فلما نزل ذرعنا من عمامته مقدار ما كان قاس فكان احدى عشرة ذراعا بذراع اليد
ورأيت بعض أرباب القياس قال ارتفاع عمودها ثلثمائة ذراع ونحو سبع عشرة ذراعا
يحيط به أربعة سطوح مثلثات الاضلاع طول كل ضلع منها أربع مائة ذراع

وستون

وستون ذراعا وارى هذا القياس خطأ ولو جعل العمود أربعمائة ذراع لصح قياسه وان ساعدت المقادير توايت قياسه بنفسى وفى أحد هذين الهرمين مدخل يلجه الناس يفضى بهم الى مسالك ضيقة واسراب متنافذة وآبار ومهالك وغير ذلك مما يحكيه من يلجه ويتوغله فان ناسا كثيرين لهم غرام به وتخيل فيه فيوغلون فى أعماقه ولابدان ينتهوا الى ما يعجزون عن سلوكه واما المسلوك فيه المطروق كثيرا فزلاقة تفضى الى أعلاه فيوجد فيه بيت مربع فيه ناووس من حجر وهذا المدخل ليس هو الباب المتخذ له فى أصل البناء وانما هو منقوب نقبا صودف اتفاقا وذكر ان المأمون هو الذى فتحه وجل من كان معنا ولجوا فيه وصعدوا الى البيت الذى فى أعلاه فلما نزلوا حدثوا بعظيم ما شاهدوا وانه مملوء بالخفافيش وأبوالها حتى يكاد يمنع السالك ويعظم فيها الخفاش حتى يكون فى قدر الحمام وفيه طاقات وروازن نحو أعلاه وكانها جعلت مسالك للريح ومنافذ للضوء وولجته مرة أخرى مع جماعة وبلغت نحو ثلثى المسافة فاغمى على من هول المطلع فرجعت برمق

وهذه الاهرام مبنية بحجارة جافية يكون طول الحجر منها ما بين عشر أذرع الى عشرين ذراعا وسمكه ما بين ذراعين الى ثلاث وعرضه نحو ذلك والعجب كل العجب فى وضع الحجر على الحجر بهندام ليس فى الامكان أصح منه بحيث لا تجد بينهما مدخل ابرة ولا خلل شعرة وبينهما طين كانه الورقة لا أدرى ما صنفه ولا ما هو وعلى تلك الحجارة كتابات بالقلم القديم المجهول الذى لم أجد بديار مصر من يزعم انه سمع بمن يعرفه وهذه الكتابات كثيرة جدا حتى لو نقل ما على الهرمين فقط الى صحف لكانت زهاء عشرة آلاف صحيفة وقرأت فى بعض كتب الصابئة القديمة ان أحد هذين الهرمين هو قبر أغاذيمون والآخر قبر هرميس ويزعمون انهما نبيان عظيمان وان أغاذيمون أقدم وأعظم

وانه كان يحج اليهما ويهوى نحوهما من أقطار الارض وقد وسعنا القول فى المنقول فى الكتاب الكبير فمن أراد التوسعة فعليه به فان هذا الكتاب مقصور على المشاهد

وكان الملك العزيز عثمان بن يوسف لما استقل بعد أبيه سول له جهلة أصحابه ان يهدم هذه الاهرام فبدأ بالصغير الاحمر وهو ثالثة الاثافى

فاخرج اليه الحلبية والنقابين والحجارين وجماعة من عظماء دولته وامراء مملكته وأمرهم بهدمه ووكلهم بخرابه فخيموا عندها وحشروا عليها الرجال والصناع ووفروا عليهم النفقات وأقاموا نحو ثمانية أشهر بخيلهم ورجلهم يهدمون كل يوم بعد بذل الجهد واستفراغ الوسع الحجر والحجرين فقوم من فوق يدفعونه بالاسافين والاخال وقوم من أسفل يجذبونه بالقلوس والاشطان فاذا سقط سمع له وجبة عظيمة من مسافة بعيدة حتى ترجف له الجبال وتزلزل الارض ويغوص في الرمل فيتعبون تعبا آخر حتى يخرجوه ثم يضربون فيه الاسافين بعدما ينقبون لها موضعا ويبيتونها فيه فيتقطع قطعا فتسحب كل قطعة على العجل حتى تلقى في ذيل الجبل وهي مسافة قريبة فلما طال ثواؤهم ونفدت نفقاتهم وتضاعف نصبهم ووهت عزائمهم وخارت قواهم كفوا محسورين مذمومين لم ينالوا بغية ولا بلغوا غاية بل كانت غايتهم ان شوهوا الهرم وأبانوا عن عجز وفشل وكان ذلك في سنة ثلاث وتسعين وخمس مائة ومع ذلك فان الرائي لحجارة الهدم يظن ان الهرم قد استؤصل فاذا عاين الهرم ظن انه لم يهدم منه شيء وانما جانب منه قد كشط بعضه وحين ماشاهدت المشقة التي يجدونها في هدم كل حجر سألت مقدم الحجارين فقلت له لو بذل لكم ألف دينار على ان تردوا حجرا واحدا الى مكانه وهندامه هل كان يمكنكم ذلك فاقسم بالله تعالى انهم ليعجزون عن ذلك ولو بذل لهم أضعافه

وبازاء الاهرام من الضفة الشرقية مغاير كثيرة العدد كبيرة المقدار عميقة الاغوار متداخلة وفيها ماهو ذو طبقات ثلاث وتسمى المدينة حتى لعل الفارس يدخلها برمحه ويتخللها يوما أجمع ولا ينهيها لكثرتها وسعتها وبعدها ويظهر من حالها انها مقاطع حجارة الاهرام وأما مقاطع حجارة الصوان الاحمر فيقال انها بالقلزم وباسوان

وعند هذه الاهرام آثار أبنية جبارة ومغاير كثيرة متقنة وقلما ترى من ذلك شيئا الا وترى عليه كتابات بهذا القلم المجهول

وعند هذه الاهرام باكثر من غلوة صورة رأس وعنق بارزة من الارض في غاية العظم يسميه الناس أبا الهول

ويزعمون ان جثته مدفونة تحت الارض ويقتضي القياس ان تكون جثته بالنسبة الى رأسه سبعين ذراعا فصاعدا وفي وجهه حمرة ودهان أحمر يلمع عليه رونق الطراة

وهو حسن الصورة مقبولها عليه مسحة بهاء وجمال كأنه يضحك تبسما وسألني بعض الفضلاء ما أعجب ما رأيت فقلت تناسب وجه أبي الهول فان أعضاء وجهه كالانف والعين والاذن متناسبة كما تصنع الطبيعة الصور متناسبة فان أنف الطفل مثلا مناسب له وهو حسن به حتى لو كان ذلك الانف لرجل كان مشوها به وكذلك لو كان أنف الرجل للصبي لتشوهت صورته وعلى هذا سائر الاعضاء فكل عضو ينبغي ان يكون على مقدار وهيئة بالقياس الى تلك الصورة وعلى نسبتها فان لم توجد المناسبة تشوهت الصورة والعجب من مصوره كيف قدر ان يحفظ نظاما لتناسب في الاعضاء مع عظمها وانه ليس في اعمال الطبيعة ما يحاكيه وينقله

ومن ذلك الآثار التي بعين شمس وهي مدينة صغيرة يشاهد سورها محدقا بها مهدوما ويظهر من أمرها انها قد كانت بيت عبادة وفيها من الاصنام الهائلة العظيمة الشكل من نحيت الحجارة يكون طول الصنم زهاء ثلاثين ذراعا وأعضاؤه على تلك النسبة من العظم وقد كان بعض هذه الاصنام قائما على قواعد وبعضها قاعدا بنصبات عجيبة واتقانات محكمة وباب المدينة موجود الى اليوم وعلى معظم تلك الحجارة تصاوير الانسان وغيره من الحيوان وكتابات كثيرة بالقلم المجهول وقلما ترى حجرا غفلا من كتابة أو نقش أو صورة وفي هذه المدينة المسلتان المشهورتان وتسميان مسلتي فرعون وصفة المسلتان قاعدة مربعة طولها عشر أذرع في مثلها عرضا في نحوها سمكا قد وضعت على أساس ثابت في الارض ثم أقيم عليها عمود مربع مخروط ينيف طوله على مائة ذراع يبتدئ من قاعدة لعل قطرها خمس أذرع وينتهي الى نقطة وقد لبس رأسها بقلنسوة نحاس الى ثلاث أذرع منها كالقمع وقد تزنجر بالمطر وطول المدة واخضر وسال من خضرته على بسيط المسلة والمسلة كلها عليها كتابات بذلك القلم ورأيت احدى المسلتين وقد خرت وانصدعت من نصفها العظم الثقل وأخذ النحاس من رأسها ثم ان حولها من المسال شيئا كثيرا لا يحصى عددها مقاديرها على نصف تلك العظمى أو ثلثها وقلما تجد في هذه المسال الصغار ما هو قطعة واحدة بل فصوصا بعضها على بعض وقد تهدم أكثرها وانما بقيت قواعدها

ورأيت بالاسكندرية مسلتين على سيف البحر فى وسط العمارة أكبر من هذه الصغار وأصغر من العظيمتين

وأما البرابى بالصعيد فالحكاية عن عظمها واتقان صنعتها وأحكام صورها وعجائب ما فيها من الأشكال والنقوش والتصاوير والخطوط مع إحكام البناء وجفاء الآلات والأحجار مما يفوت الحصر وهى من الشهرة بحيث تغنى عن الاطالة فى الصفة

ورأيت بالاسكندرية عمود السوارى وهو عمود أحمر منقط من الحجر المانع الصوان عظيم الغلظ جدّا شاهق الطول لا يبعد ان يكون طوله سبعين ذراعا وقطره خمس أذرع وتحته قاعدة عظيمة تناسبه وعلى رأسه قاعدة أخرى عظيمة وارتفاعها عليه بهندام يفتقر الى قوة فى العلم برفع الاثقال وتمهر فى الهندسة العملية وخبرنى بعض الثقات انه قاس دوره فكان خمسا وسبعين شبرا بالشبر التام

ثم انى رأيت بشاطئ البحر مما يلى سور المدينة أكثر من أربع مائة عمود مكسرة انصافا واثلاثا حجرها من جنس حجر عمود السوارى على الثلث منه أو الربع وزعم أهل الاسكندرية قاطبة انها كانت منتصبة حول عمود السوارى وان بعض ولاة الاسكندرية واسمه قراجا كان واليا عن يوسف بن أيوب فرأى هدم هذه السوارى وتكسيرها والقاها بشاطئ البحر زعم ان ذلك يكسر سورة الموج عن سور المدينة أو ان يمنع مراكب العدوان تستند اليه وهذا من عبث الولدان ومن فعل من لا يفرق بين المصلحة والمفسدة

ورأيت أيضا حول عمود السوارى من هذه الاعمدة بقايا صالحة بعضها صحيح وبعضها مكسور ويظهر من حالها انها كانت مسقوفة والاعمدة تحمل السقف وعمود السوارى عليه قبة هو حاملها وأرى انه الرواق الذى كان يدرس فيه أرسطوطاليس وشيعته من بعده وانه دار العلم الذى بناها الاسكندر حين بنى مدينته وفيها كانت خزانة الكتب التى حرقها عمرو بن العاص باذن عمر رضى الله عنه

واما المنارة فحالها مشهور يغنى عن وصفها وذكر ذوو العناية ان طولها مائتا ذراع وخمسون ذراعا

وقرأت

وقرأت بخط بعض المحصلين انه قاس العمود بقاعدتيه فكان اثنتين وستين ذراعا وسدس ذراع وهو على جبل طوله ثلاث وعشرون ذراعا ونصف ذراع فصارت جملة ذلك خمسا وثمانين ذراعا وثلثي ذراع وطول القاعدة السفلى اثنتا عشرة ذراعا وطول القاعدة العليا سبع أذرع ونصف ذراع وقاس أيضا المنارة فوجدها مائتي ذراع وثلاثا وثلاثين ذراعا وهي ثلاث طبقات الطبقة الاولى مربعة وهي مائة ذراع واحدى وعشرون ذراعا والطبقة الثانية مثمنة وطولها احدى وثمانون ذراعا ونصف ذراع والطبقة الثالثة مدورة وطولها احدى وثلاثون ذراعا ونصف ذراع وفوق ذلك مسجد ارتفاعه نحو عشر أذرع

ومن ذلك الآثار التي بمصر القديمة وهذه المدينة بالجيزة فويق الفسطاط وهي منف التي كان يسكنها الفراعنة وكانت مستقر مملكة ملوك مصر واياها عنى بقوله تعالى عن موسى عليه السلام (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها) وبقوله تعالى (فخرج منها خائفا يترقب) لان مسكنه عليه السلام كان بقرية بالجيزة قريبة من المدينة تسمى دموه وبها اليوم دير لليهود ومقدار خرابها اليوم مسيرة نصف يوم في نحوه وقد كانت عامرة في زمن ابراهيم ويوسف وموسى عليهم السلام وقبلهم بما شاء الله تعالى وبعدهم الى زمن بخت نصر فانه أخرب ديار مصر وبقيت على خرابه أربعين سنة وسبب اخرابه اياها ان ملكها عصم منه اليهود حين التجأوا الى مصر ولم يمكن منهم بخت نصر فقصده بخت نصر وأباد دياره ثم جاء الاسكندر بعد ذلك واستولى عليهم وعمر بها الاسكندرية وجعلها مقر الملك ولم تزل على ذلك الى ان جاء الاسلام ففتحت على يد عمرو بن العاص وجعل مقر الملك بالفسطاط ثم جاء المعز من المغرب وبنى القاهرة وجعلها مقر الملك الى اليوم وقد ذكرنا ذلك مشروحا مفصلا في الكتاب الكبير ولنرجع الى وصف منف المسماة مصر القديمة

فهذه المدينة مع سعتها وتقادم عهدها وتداول الملل عليها واستيصال الامم اياها من تعفية آثارها ومحو رسومها ونقل حجارتها وآلاتها وأفساد أبنيتها وتشويه صورها مضافا الى ما فعلته فيها أربعة آلاف سنة فصاعدا تجد فيها من العجائب ما يفوت فهم المتأمل ويحصر دون وصفه البليغ اللسن وكلما زدته تأملا زادك عجبا وكلما زدته نظرا زادك

طربا ومهما استنبطت منه معنى أنباك بما هو أغرب ومهما استثرت منه علما دلك على ان وراءه ما هو أعظم

فمن ذلك البيت المسمى بالبيت الاخضر وهو حجر واحد تسع أذرع ارتفاعا في ثمان طولا في سبع عرضا قد حفر في وسطه بيت قد جعل سمك حيطانه وسقفه وأرضه ذراعين ذراعين والباقي فضاء البيت وجميعه ظاهرا وباطنا منقوش ومصور ومكتوب بالقلم القديم وعلى ظاهره صورة الشمس مما يلي مطلعها وصور كثير من الكواكب والافلاك وصور الناس والحيوان على اختلاف من النصبات والهيآت فمن بين قائم وماش ومادّ رجليه وصافهما ومستمر للخدمة وحامل آلات ومشير بها ينبئ ظاهر الامر انه قصد بذلك محاكاة أمور جليلة واعمال شريفة وهيآت فاضلة واشارات الى أسرار غامضة وانها لم تتخذ عبثا ولم يستفرغ في صنعتها الوسع لمجرّد الزينة والحسن وقد كان هذا البيت ممكنا على قواعد من حجارة الصوان العظيمة الوثيقة فحفر تحتها الجهلة والحمقى طمعا في المطالب فتغير وضعه وفسد هندامه واختلف مركز ثقله وثقل بعض على بعض فتصدع صدوعا طفيفة يسيرة وهذا البيت قد كان في هيكل عظيم مبني بحجارة عاتية جافية على أتقن هندام وأحكم صنعة وفيها قواعد على عمد عظيمة وحجارة الهدم متواصلة في جميع أقطار هذا الخراب وقد بقي في بعضها حيطان ماثلة بتلك الحجارة الجافية وفي بعضها أساس وفي بعضها أطلال ورأيت عقد باب شاهقا ركناه حجران فقط وأزجه حجر واحد قد سقط بين يديه وتجد هذه الحجارة مع الهندام المحكم والوضع المتقن قد حفر بين الحجرين منها نحو شبر في ارتفاع اصبعين وفيه صداء النحاس وزنجرته فعلمت ان ذلك قيود لحجارة البناء وتوثيق لها ورباطات بينها بان يجعل بين الحجرين ثم يصب عليه الرصاص وقد تتبعها الانذال المحدودون فقلعوا منها ما شاء الله تعالى وكسروا لاجلها كثيرا من الحجارة حتى يصلوا اليها ولعمر الله لقد بذلوا الجهد في استخلاصها وأبانوا عن تمكن من اللؤم وتوغل في الخساسة

وأما الاصنام وكثرة عددها وعظم صورها فامر يفوت الوصف ويتجاوز التقدير وأما اتقان أشكالها وأحكام هيآتها والمحاكاة بها الامور الطبيعية فوضع التعجب بالحقيقة فمن ذلك صنم ذرعناه سوى قاعدته فكان نيفا وثلاثين ذراعا وكان مداه من جهة اليمين

الى

الى اليسار نحو عشر أذرع ومن جهة الخلف الى الامام على تلك النسبة وهو حجر واحد من الصوان الاحمر وعليه من الدهان الاحمر كانه لم يزده تقادم الايام الا جدة

والعجب كل العجب كيف حفظ فيه مع عظمه النظام الطبيعي والتناسب الحقيقي وأنت تعلم ان كل واحد من الاعضاء الآلية والمتشابهة له في نفسه مقدار ما وله الى سائر الاعضاء نسبة ما بذلك المقدار و بتلك النسبة يحصل حسن الهيئة وملاحة الصورة فان اختل شيء من ذلك حدث من القبح بمقدار الخلل وقد أحكم في هذه الاصنام هذا النظام احكاما أي احكام فمن ذلك مقادير الاعضاء في نفسها ثم نسب بعضها الى بعض فانك ترى الصنم قد ابتدئ بانفصال صدره عن عنقه عند الترقوة بتناسب بليغ ثم تأخذ الصدر في ارتفاع الترايب الى الثندوتين فيرتفعان عما دونهما و يفرزان عن سائر الصدر بنسبة عجيبة ثم يعلوان الى حد الحلمة ثم تصور الحلمة مناسبة لتلك الصورة الهائلة ثم تنحدر الى الموضع المطمئن عند القص وفرجة الزور وزر القلب والى تجعيد الاضلاع والتوائها كما هو موجود في الحيوان الحقيقي ثم تنحدر الى مقاط الاضلاع ومراق البطن والتواء العصب وعضل البطن يمينا وشمالا وتوترها وارتفاعها وانخفاض مادون السرة مما يلي الاقراب ثم تحقيق السرة وتوتر العضل حولها ثم الانحدار الى الثنة والحالبين وعروق الحالب والخروج منه الى عظمى الوركين وكذلك تجد انفصال الكتف واتصاله بالعضد ثم بالساعد وانفتال حبل الذراع والكوع والكرسوع وابرة المرفق ونهرى مفصل الساعد من العضد وعضل الساعد ورطوبة اللحم وتوتر العصب وغير ذلك مما يطول شرحه وقد صور كف بعضها قابضا به على عمود قطره شبر كأنه كتاب وصورت الغضون والاسارير التي تحدث في جلدة الكف مما يلي الخنصر عند ما يقبض الانسان كفه وأما حسن أوجهها وتناسبها فعلى أكمل ما في القوى البشرية ان تفعله وأتم ما في المواد الحجرية ان تقبله ولم يبق الا صورة اللحم والدم وكذلك صورة الاذن وحتارها وتعاريجها على غاية التمثيل والتخييل

ورأيت أسدين متقابلين بينهما أمد قريب وصورهما هائلة جدا وقد حفظ فيهما النظام الطبيعي والتناسب الحيواني مع كونهما أعظم جثة من الحيوان الحقيقي جدا جدا وقد تكسرا وردما بالتراب

ووجدنا من سور المدينة قطعة صالحة مبنية بالحجارة الصغار والطوب وهذا الطوب كبير جاف مطاول الشكل ومقداره نصف الآجر الكسروى بالعراق كما ان طوب مصر اليوم نصف آجر العراق اليوم أيضا

واذا رأى اللبيب هذه الآثار عذر العوام فى اعتقادهم على الاوائل بان أعمارهم كانت طويلة وجثثهم عظيمة أوانه كان لهم عصا اذا ضربوا بها الحجر سعى بين أيديهم وذلك ان الاذهان تقصر عن مقدار ما يحتاج اليه فى ذلك من علم الهندسة واجتماع الهمة وتوفر العزيمة ومصابرة العمل والتمكن من الآلات والتفرغ للاعمال والعلم بمعرفة أعضاء الحيوان وخاصة الانسان ومقاديرها ونسب بعضها من بعض وكيفية تركيبها ونصباتها ومقادير وضع بعضها من بعض فان النصف الاسفل من الانسان أعظم من النصف الاعلى منه أعنى التنور بمقدار معلوم بخلاف سائر الحيوان والانسان المعتدل طوله ثمانية أشبار بشبر نفسه وطول يده الى طى مرفقه شبران بشبره وعضده شبر وربع وهكذا جميع عظامه الصغار والكبار والقصب والسناسن والسلاميات حافظة للنظام فى مقاديرها ونسب بعضها الى بعض وكذلك سائر الاعضاء الباطنة والظاهرة كانخفاض اليافوخ عن ذروة الرأس ونتوه عما دونه وامتداد الجبهة والجبينين وتطامن الصدغين ونتوء عظمى الوجنتين وسهولة الخدين وانخراط الانف ولين المارن وانفراج المنخرين وامتداد الوترة ودقة الشفتين واستدارة الحنك وانخراط الفكين وغير ذلك مما تضيق عنه العبارة وانما يدرك بالمشاهدة وبالتشريح والتأمل وقد ذكر أرسطوطاليس فصلا فى المقالة الحادية عشرة من كتاب الحيوان له يدل على ان القوم كان لهم حذاقة واتقان لمعرفة أعضاء الحيوان وتناسبها وان جميع ما أدركوه وان جل فهو حقير تافه بالقياس الى الامر الحقيقى المطبوع وانما يستعظم ما عرفه الانسان منه بالقياس الى ضعف قوته وبالقياس الى باقى نوعه ممن يعجز عما قدر عليه كما يتعجب من النملة اذا حملت حبة شعير ولا يتعجب من الفيل اذا حمل قناطير وهذا نص كلامه باصلاحى قال (من العجب ان نستحسن علم احكام التصاوير وعمل الاصنام وافراغها ونتبين حكمته ولا نستحسن معرفة الاشياء المقومة بالطبيعة ولاسيما اذا قوينا على معرفة عللها ولذلك لا ينبغى لنا ان نكره النظر فى طباع الحيوان الحقير الذى ليس بكريم

ولا

ولا يثقل ذلك علينا كما يثقل على الصبيان ففي جميع الاشياء الطباعية شيء عجيب و لذلك ينبغي لنا ان نطلب معرفة طباع كل واحد من الحيوان ونعلم ان في جميعه شيئا طباعيا كريما لانه لم يطبع شيء منها على وجه الباطل ولا كما جاء واتفق ولا بالبخت بل كل ما يكون من قبيل الطباع فانما يكون لشيء أعني لحال التمام ولذلك صار له مكان ومرتبة وفضيلة صالحة فتبارك الله أحسن الخالقين

وأما باطن الحيوان وتجويفاته وما فيها من العجائب التي يشتمل على وصفها كتب التشريح لجالينوس وغيره وكتاب منافع الاعضاء له فان أيسر اليسير منه يبهت دونه المصور حسيرا ولا يجد له على ذلك ظهيرا ويعلم مصداق قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا

وأقول ان التعجب من الامور الصناعية يضاهي التعجب من الامور الطباعية لان الامور الصناعية هي بوجه ما طباعية وذلك انها حادثة عن قوى طباعية وكما ان المهندس اذا حرك ثقلا عظيما استحق ان يتعجب منه فكذلك اذا صنع صورة من خشب مثلا تحرك تلك الصورة ثقلا ما كان ذلك المهندس أحرى ان يتعجب منه

والله خلقكم وما تعملون فتبارك من ملكوته سار في عالمي الغيب والشهادة وفي أنفسكم افلا تبصرون ونور جلاله ساطع فلا ينهنهه حجاب يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ومن أشباح الموجودات بقدرته قائمة وبارادته متحركة وساكنة وبنفاذ أمره فيها فرحة وباقترابها من حضرة قدسه مبتهجة ولتكثرها تشهد بوحدانيته وبتغيرها تقر بصمديته وان من شيء الا يسبح بحمده

ولنرجع الى حديثنا الاول فنقول هذه الاصنام مع كثرتها قد تركتها الايام الا الاقل منها جذاذا وغادرتها أرماما ولقد شاهدت كبيرا منها وقد نحت من ضلعته رجا قطرها ذراعان ولم يظهر في صورته كبير تشويه ولا تغير بين ورأيت صنما وبين رجليه صنم متصل به صغير كأنه مولود بالقياس اليه وهو مع ذلك كأعظم رجل يكون وعليه من الملاحة والجمال ما يشوق الناظر اليه ولا يمل من ملاحظته

واتخاذ الاصنام قد كان في ذلك الزمان شائعا في الارض عاما في الامم ولهذا قال تعالى في حق ابراهيم عليه السلام ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يكن من المشركين أي

كان وحده فى زمنه موحدا فهو امة بنفسه لاعتزاله اياهم وانفراده برأى يخالف آراءهـــــم

ولما رأى بنو اسرائل تعظيم القبط هذه الاصنام وتبجيلهم اياها وعكوفهم عليها وألفوا ذلك وأنسوا به لطول مقامهم بينهم ثم رأوا قوما من أهل الشام عاكفين على أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ولما كان النصارى معظمهم وجمهورهم أقباطا وصابئة نزعوا الى الاصل ومالوا الى سنة آبائهم القديمة فى اتخاذ التصاوير فى بيعهم وهيا كل عبادتهم وبالغوا فى ذلك وتفننوا فيه وربما ترامو فى الجهالة والنوك حتى صوروا الههم والملائكة حوله بزعمهم وجميع ذلك لبقايا فيهم من سنن أوائلهم وان كان الاوائل يكبرون الاله ان يدخل تحت ادراك عقلى وحسى فضلا عن تصوير وانما سهل على النصارى ذلك واجرأهم عليه اعتقادهم الالهية لبشر وقد حققنا القول فى ذلك فى مقالاتنا عليهم

ومازالت الملوك تراعى بقاء هذه الآثار وتمنع من العيث فيها والعبث بها وان كانوا أعداء لاربابها وكانو يفعلون ذلك لمصالح منها التبقى تاريخا يتنبه بها على الاحقاب ومنها انها تكون شاهدة للكتب المنزلة فان القرآن العظيم ذكرها وذكر أهلها ففى رؤيتها خبر الخبر وتصديق الاثر ومنها انها مذكرة بالمصير ومنبهة على المآل ومنها انها تدل على شئ من أحوال من سلف وسيرتهم وتوفر علومهم وصفاء فكرهم وغير ذلك وهذا كله مما تشتاق النفس الى معرفته وتؤثر الاطلاع عليه وأما فى زمننا هذا فترك الناس سدى وسرحوا هملا وفوضت اليهم شؤونهم فتحركوا بحسب أهوائهم وجروا نحو ظنونهم وأطماعهم وعمل كل امرء منهم على شاكلته وعوجب بجيئته وبحسب ما تسول له نفسه ويدعو اليه هواه فلما رأوا آثارا هائلة راعهم منظرها وظنوا ظن السوء بخبرها وكان جل انصراف ظنونهم الى معشوقهم وأجل الاشياء فى قلوبهم وهو الدينار والدرهم فهم كما قيل

وكل شئ رآه ظنه قدحا ❊ وان رآى ظل شخص ظنه الساقى

فهم يحسبون كل علم يلوح لهم انه علم على مطلب وكل شق مفطور فى جبل انه يفضى الى كنز وكل صنم عظيم انه حافظ للمال تحت قدميه وهو مهلك عليه فصاروا يعملون الحيلة فى

فى تخريبه ويبالغون فى تهديمه ويفسدون صور الاصنام افساد من يرجو عندها المال ويخاف منها التلف وينقبون الاحجار نقب من لا يتمارى انها صناديق مقفلة على ذخائر ويسربون فى فطور الجبال سروب متلصص قد أتى البيوت من غير أبوابها وانتهز فرصة لم يشعر غيره بها

وهذه الفطور منها ما يدخل حبوا ومنها ما يدخل زحفا ومنها ما يدخل سحبا على الوجوه ومنها مضائق لا ينسحب فيها الا الضرب الضئيل وأكثر ذلك انما هو فطور طبيعية الجبال

ومن كان من هؤلاء له مال أضاعه فى ذلك ومن كان فقيرا قصد بعض المياسير وقوى طمعه وقرب أمله بايمان يحلفها له وعلوم يزعم انه استأثر بها دونه وعلامات يدعى انه شاهدها حتى يخسر ذلك عقله وماله وما أقبح بعد ذلك مآله

ومما يقوى اطماعهم ويديم اصرارهم انهم يجدون نواويس تحت الارض فسيحة الارجاء محكمة البناء وفيها من موتى القدماء الجم الغفير والعدد الكثير قد لفوا بأكفان من ثياب القنب لعله يكون على الميت منها زهاء ألف ذراع وقد كفن كل عضو على انفراده كاليد والرجل والاصبع فى قطع دقاق ثم بعد ذلك تلف جثة الميت جملة حتى يرجع كالحمل العظيم ومن كان يتتبع هذه النواويس من الاعراب وأهل الريف وغيرهم يأخذ هذه الاكفان فما وجد فيه تماسكا اتخذه ثيابا او باعه للوراقين يعملون منه ورق العطارين

ويوجد بعض موتاهم فى توابيت من خشب الجميز ثخين ويوجد بعضهم فى نواويس من حجارة اما رخام واما صوان وبعضهم فى أزيار مملوءة عسلا وخبرنى الثقة انهم بينما كانوا يتقفون المطالب عند الاهرام صادفوا دنا مختوما ففضوه فاذا فيه عسل فاكلوا منه فعلق فى أصبع أحدهم شعر فجذبه فظهر لهم صبى صغير متماسك الاعضاء رطب البدن عليه شئ من الحلى والجوهر وهؤلاء الموتى قد يوجد على جباههم وعيونهم وأنوفهم ورق من الذهب كالقشر وقد يوجد منه أيضا على فرج المرأة وربما وجد قشر من الذهب على جميع الميت كالغشاء وربما وجد عنده شئ من الذهب والحلى والجوهر وربما وجد عنده آلته التى كان يزاول بها العمل فى حياته وخبرنى الثقة انه وجد عند ميت منهم آلة المزين مسنا وموسى وعند آخر آلة الحجام وعند آخر آلة الحائك ويظهر من حالهم انه قد كان

من سنتهم ان يدفنوا مع الرجل آلته وماله وسمعت ان طوائف من الحبشة هذه سنتهم ويتطيرون بمتاع الميت ان يمسوه أو يتصرفوا فيه وكان لناقريب دخل الحبشة واكتسب مالا منه مائتي أوقية من الذهب وانه لما مات أكرهوا رجلا مصريا كان معه على أخذ ماله فاخذه متناعليهم

وقد كان من سنتهم والله أعلم ان يجعل مع الميت شئ من الذهب فخبرني بعض قضاة بوصير وهي مجاورة مدافنهم انهم نبشوا ثلاثة أقبر فوجدوا على كل ميت قشرا رقيقا من الذهب لا يكاد يجتمع وفي فيه سبيكة من الذهب فجمع السبائك الثلاثة فكان وزنها تسعة مثاقيل والحكايات في ذلك أوسع من ان يحصرها هذا الكتاب

وأما ما يوجد في أجوافهم وأدمغتهم من الشئ الذي يسمونه موميا فكثير جدا يجلبه أهل الريف الى المدينة ويباع بالشئ النزر ولقد اشتريت ثلاثة أرؤس مملوءة منه بنصف درهم مصري

وأراني بائعه جوالقا مملوءا من ذلك وكان فيه الصدر والبطن وحشوه من هذا الموميا ورأيته قد داخل العظام وتشربته وسرى فيها حتى صارت كأنها جزء منه ورأيت أيضا على قحف الرأس أثر ثوب الكفن وأثر النساجة قد انتقش فيه كما يرتسم على الشمع اذا ختمت به على ثوب

وهذا الموميا هو أسود كالقفر ورأيته اذا اشتد عليه حر الصيف يجري ويلصق بما يدنو منه واذا طرح على الجمر غلى ودخن وشممت منه رائحة القفر أو الزفت والغالب انه زفت ومر

وأما الموميا بالحقيقي فشئ ينحدر من رؤس الجبال مع المياه ثم يجمد كالقار ويفوح منه رائحة زفت مخلوط بقفر وقال جالينوس الموميا يخرج من العيون كالقار والنفط وقال غيره هو صنف من القار ويسمى حيض الجبال وهذا الذي يوجد في تجاويف الموفى بمصر لا يبعد عن طباع الموميا وان يستعمل بدله اذا تعذر

ومن أعجب ما يوجد في مدافنهم أصناف الحيوان من الطير والوحش والحشرات وقد كفن الواحد منها في كذا كذا ثوبا وهو محتاط عليه محتفظ به

وخبرني الثقة أنهم وجدوا بيتا تحت الارض محكما ففتحوه فوجدوا فيه لفائف ثياب

القنب

القنب وقد تمعطت فازالوها مع كثرتها فوجدوا تحتها عجلا صحيحا ... أحكم تمعيطه ووجد في آخرانهم وجدوا صقرا فنشروا عنه من لفائف الثياب حتى عيوا فوجدوه لم تسقط منه ريشة وحكى لي مثل ذلك عن هر وعن عصفور وعن خنفساء وغير ذلك مما يطول شرحه ويهجن ذكره

وحكى لي أيضا الامير الصادق انه كان بقوص فجاء اليه من يبحث عن المطالب فذكروا له أنهم انخسفت بهم هوة موهمة ان فيها دفينا فخرج معهم بجماعة متسلحين وحفروا فوجدوا زيرا كبيرا موثق الرأس بالجص ففتحوه بعد الجهد فوجدوا فيه كالاصابع مكفنا بخرق فحلوه فوجدوا تحتها صيرا وهو سمك صغار وقد صار كالهباء اذا نفخ طار فنقلوا الزير الى مدينة قوص بين يدي الوالي واجتمع عليه نحو مائة رجل فحلوا الجميع حتى أتوا على آخره وهو كله صير مكفن ليس فيه سوى ذلك

ورأيت أنا بعد ذلك في مدافنهم بوصير من العجائب مالا يفي به هذا الكتاب فمن ذلك اني وجدت في هذه المدافن مغائر تحت الارض مبنية باتقان وفيها رمم مكفنة في كل مغارة عدد لا يحصى ومن المغائر ما هو مملوء برمم الكلاب ومنها ما هو مملوء برمم البقر ومنها ما فيه رمم السنانير والجميع مكفن بخرق القنب ورأيت شيئا من عظام بني آدم وقد تمشق حتى صار كالليف الابيض لقدمه ومع ذلك فاكثر الرمم التي رأيتها صلبة متماسكة جدا يظهر عليها من الطراة أكثر من رمم الهالكين سنة سبع وتسعين وخمس مائة الآتي ذكرها آخر كتابنا هذا ولاسيما ما كان من الرمم القديمة قد انصبغ بالزفت أو القطران فانك تجدها في لون الحديد وصلابته ورزانته ورأيت من جماجم البقر ما شاء الله وكذلك جماجم الغنم وفرقت بين رؤس المعز والضأن وبين رؤس البقر والثيران ووجدت لحم البقر قد التصق بالاكفان حتى صار قطعة واحدة حمراء تضرب الى السواد ويخرج العظم من تحتها أبيض يققا وبعض العظام أحمر وبعضها اسود وكذلك في عظام الآدمي ولا شك ان الاكفان كانت تبل بالصبر والقطران وتشرب به ثم يكفن بها فلذلك يصبغ اللحم ويبقيه وما نال منها العظم صبغه فاحمر واسود ووجدت في عدة مواضع تلالا من رمم الكلاب لعله يكون في جملتها مائة الف رأس كلب أو يزيد وذلك مما يثير الباحثين عن المطالب فان جماعة يجعلون مكاسبهم من هذه القبور وأخذ ما سنح

لهم من الخشب والخرق وغيره واستقريت جميع المواضع الممكنة فلم أجد فيها رأس فرس ولا جمل ولا حمار فبقى ذلك فى نفسى فسألت مشايخ بوصير فبادروا الى أخبارى بانهم قد تقدمت فكرتهم فى ذلك واستقراؤهم أياه فلم يجدوه وأكثر توابيتهم من خشب الجميز وفيه القوى الصلب ومنه ماصار فى درجة الرماد وخبرنى قضاة بوصير بعجائب منها انهم وجدوا ناووسا من حجر ففضوه فالفوا فيه ناووسا ففضوه فوجدوا فيه تابوتا ففتحوه فوجدوا فيه سحلية وهى سام ابرص مكفنة محتاطا عليها معتنيا بها

ووجدنا عند بوصير أهراما كثيرة منها هرم قد انهدم وبقى قلبه فقسناه من مبدأ أساسه فوجدناه لا يتقاصر عن هرمى الجيزة

وجميع ما حكيناه من أحوال مدافنهم ببوصير يوجد نحوه وأمثاله بعين شمس وبالبرابى وبغيرها

واعلم ان الاهرام لم أجد لها ذكرا فى التوراة ولا فى غيرها ولا رأيت أرسطو اذكرها وانما قال فى اثنا قول له فى السياسة كما كان من سنة المصريين البنا وللاسكندر الافروذيسى تاريخ صغير ذكر فيه اليهود والمجوس والصابئة وتعرض لشئ من أخبار القبط واما جالينوس فرأيته ذكر الاهرام فى موضع واحد وجعله من هرم الشيخوخة وقال فى كتاب شرح الاهوية والبلدان لبقراط فمن أراد ان يتعلم صناعة النجوم فعليه بمصر فان أهلها قد عنوا بذلك عناية تامة هذا معنى قوله وقال فى كتاب عمل التشريح فمن أراد ان يشاهد كيفية تركيب العظام وهيأتها فينبغى له ان يقصد الاسكندرية ويشاهد موتى القدماء

واعلم ان القبط بمصر نظير النبط بالعراق ومنف نظيرة بابل والروم والاقاصر بمصر نظير الفرس والاكاسرة بالعراق والاسكندرية نظيرة المدائن والفسطاط نظير بغداد والجميع اليوم يعمه الاسلام وتشمله دعوة بنى العباس

❊(الفصل الخامس فيما شوهد بها من غرائب الابنية والسفن)❊

واما أبنيتهم ففيها هندسة بارعة وترتيب فى الغاية حتى انهم قلما يتركون مكانا غفلا خاليا عن مصلحة ودورهم افيح وغالب سكناهم فى الاعالى ويجعلون منافذ منازلهم تلقاء الشمال والرياح الطيبة وقلما تجد منزلا الا وفيه باذاهنج وباذاهنجاتهم كبار واسعة للريح عليها

عليها تسلط ويحكمونها غاية الاحكام حتى انه يغرم على عمارة الواحد منها مائة دينار الى خمس مائة وان كانت باذاهنجات المنازل الصغار يغرم على الواحد منها دينار وأسواقهم وشوارعهم واسعة وأبنيتهم شاهقة ويبنون بالحجر النحيت والطوب الاحمر وهو الآجر وشكل طوبهم على نصف طوب العراق

ويحكمون قنوات المراحيض حتى انه تخرب الدار والقناة قائمة ويحفرون الكنف الى المعين فيغبر عليها برهة من الدهر طويلة ولا يفتقر الى كسح

واذا أرادوا بناء ربع أو دار ملكية أو قيسارية استحضر المهندس وفوض اليه العمل فيعمد الى العرصة وهي تل تراب أو نحوه فيقسمها في ذهنه ويرتبها بحسب ما يقترح عليه ثم يعمد الى جزء جزء من تلك العرصة فيعمره ويكمله بحيث ينتفع به على انفراده ويسكن ثم يعمد الى جزء آخر ولا يزال كذلك حتى تكمل الجملة بكمال الاجزاء من غير خلل ولا استدراك

وأما المسناة فيسمونها الزربية ولهم في بنائها اتقان حسن وصفته ان يحفر الاساس حتى تظهر النداوة وتزير الماء فحينئذ يوضع ملبن من خشب الجميز أو نحوه على تلك الارض الندية بعدما تمهد ويكون عرضه نحو ثلثي ذراع وقطر حلقته نحو ذراعين مثل الذي يجعل في قعر الابار ثم يبنى عليه بالطوب والجير نحو قامتين فيصير بمنزلة التنور فيأتي الغواصون وينزلون هذه البير ويحفرونها وكلما نبع الماء نزحوه مع الطين والرمل ويحفرون أيضا تحت ذلك الملبن فكلما تخلخل ما تحته وثقل بما عليه من البناء نزل وكلما نزل غاصوا عليه وحفروا تحته والبناء في اثناء ذلك يبنى عليه ويرفعه ولا يزال البناء يرفع والغواص تحته يحفر وهو بثقله يغوص حتى يستقر على ارض جلدة ويصل الى الحد الذي يعرفونه فحينئذ ينتقلون الى عمل آخر مثله على سمته وعلى بعد أربع اذرع منه أو نحوها ولا يزالون يفعلون ذلك في جميع طول الاساس المفروض ثم يبنون الاساس كالعادة بعد ردم هذه الابار فترجع أوتادا راسية للبناء وعمدا تدعمه وتوثقه

وأما حماماتهم فلم أشاهد في البلاد اتقن منها وضعا ولا أتم حكمة ولا أحسن منظرا ومخبرا أما أولا فان أحواضها يسع الواحد منها ما بين راويتين الى أربع روايا وأكثر من ذلك تصب فيه ميزابان ثجاجان حار وبارد وقبل ذلك تصبان في حوض صغير جدا مرتفع

فاذا اختلط فيه جرى منه الى الحوض الكبير وهذا الحوض نحو ربعه فوق الارض وسائره فى عمقها ينزل اليه المستحم فيستنقع فيه وداخل الحمام مقاصير بابواب وفى المسلخ أيضا مقاصير لارباب التخصص حتى لا يختلطوا بالعوام ولا يظهروا على عوراتهم وهذا المسلخ بمقاصيره حسن القسمة مليح البنية وفى وسطه بركة مرخمة وعليها أعمدة وقبة وجميع ذلك مزوق السقوف مفوف الجدران مبيضها مرخم الارض باصناف الرخام مجزع باختلاف الوانه وترخيم الداخل يكون أبدا أحسن من ترخيم الخارج وهو مع ذلك كثير الضياء مرتفع الازاج جاماته مختلفة الالوان صافية الاصباغ بحيث اذا دخله الانسان لم يؤثر الخروج منه لانه اذا بالغ بعض الرؤساء ان يتخذ دارا لجلوسه وتناهى فى ذلك لم تكن أحسن منه

وفى موقده حكمة عجيبة وذلك ان يتخذ بيت النار وعليه قبة مفتوحة بحيث يصل اليها لسان النار ويصف على أفاريزها أربع قدور رصاص كقدو والهراس لكنها أكبر منها وتتصل هذه القدور وقرب أعاليها بمجار من أنابيب فيدخل الماء من مجرى البير الى فسقية عظيمة ثم منها الى القدر الاولى فيكون فيها باردا على حاله ثم يجرى منها الى الثانية فيسخن قليلا ثم الى الثالثة فيسخن أكثر من ذلك ثم الى الرابعة فيتناهى حره ثم يخرج من الرابعة الى مجارى الحمام فلا يزال الماء جاريا وحارا بايسر كلفة وأهون سعى وأقصر زمان وهذا العمل حاكوا به فعل الطبيعة فى بطون الحيوان وطبخها الغذا فان الغذا ينتقل فى الامعاء وآلات الغذاء التى هى لكل حيوان وكلما صار الغذاء الى مصير حصل له صنف من الهضم ومقدار من النضج حتى يصل الى المعاء الاخير وقد تناهى

واعلم ان هذه القدور كل حين تحتاج الى تجديد لان النار تنقصها فتوجد القدر الاولى التى هى وعاء البارد قد نقصت أكثر من نقصان القدر التى هى وعاء الحار بمقدار بين ولذلك علة طبيعية ليس هذا موضعها

ويفرشون أرض الاتون التى هى مقر النار بنحو خمسين أردبا ملحا وهكذا يفعلون بارض الافران لان الملح من طبعه حفظ الحرارة

وأما سفنهم فكثيرة الاصناف والاشكال وأغرب ما رأيت فيها مركب يسمونه العشيرى شكله شكل شبارة داخلة الا انه أوسع منها بكثير وأطول وأحسن هنداما وشكلا قد سطح بالواح

بالواح من خشب ثخينة محكمة وأخرج منها أفاريز كالرواشن نحو ذراعين وبنى فوق هذا السطح بيت من خشب وعقد عليه قبة وفتح له طاقات ورواوزن بأبواب الى البحر من سائر جهاته ثم تعمل فى هذا البيت خزانة مفردة ومرحاض ثم يزوق باصناف الاصباغ ويذهب ويدهن باحسن دهان

وهذا يتخذ للملوك والرؤساء بحيث يكون الرئيس جالسا فى وسادته وخواصه حوله والغلمان والمماليك قيام بالمناطق والسيوف على تلك الرواشن وأطعمتهم وحوائجهم فى قعر المركب والملاحون تحت السطح أيضا وفى باقى المركب يقذفون به لا يعلمون شيئا من أحوال الركاب ولا الركاب يشتغل خواطرهم بهم بل كل فريق بمعزل عن الآخر ومشغول بما هو بصدده واذا أراد الرئيس الاختلاء بنفسه عن أصحابه دخل المخدع واذا أراد قضاء حاجته دخل المرحاض والملاحون بمصر يقذفون الى ورائهم فهم فى قذفهم يشبهون الحبالين فى مشيهم القهقرى ويشبهون فى تحريكهم السفن من يجذب ثقلا بين يديه ويمشى به الى خلفه وأما ملاحو العراق فهم بمنزلة من يدفع الثقل نحو امامه ويدسر به فسفنهم تتوجه حيث الملاح متجه وأما سفن مصر فهى تتحرك الى ضد الجهة التى اليها الملاح متوجه وأما أى الحالتين أسهل والبرهان عليها فوضعه العلم الطبيعى وعلم تحريك الاثقال

❁(الفصل السادس فى غرائب أطعمتها)❁

فمن ذلك النيدة وهى بمنزلة الخبيص حمراء الى السواد وهى حلوة لا فى الغاية وتتخذ من القمح بان ينبت ثم يطبخ حتى يخرج نشاه وقوته فى الماء ثم يصفى ويطبخ ذلك الماء حتى يغلظ ثم يذر عليه الدقيق ويعقد ويرفع فيباع بسعر الخبز وهذه تسمى نيدة البوش وقد يطبخ ذلك الماء وحده حتى ينعقد من غير دقيق وتسمى النيدة المعقودة وهى أغلى من الاولى وأعلى

ويختصون أيضا باستخراج دهن بزر الفجل والسلجم والخس ويستصبحون به ويعملون منه الصابون وصابونهم رطب أحمر وأصفر وأخضر وبه شبهت الصابونية واليه نسبت

وأما أطبختهم فالحوامض منها والسواذج هي المعهودة أو قريبة من المعهودة وأما المحلات فغريبة فمن ذلك انهم يتخذون الدجاج باصناف من الحلويات وسبيل ذلك ان تسلق الدجاج ثم ترمى في الجلاب و يلقى عليه بندق مدقوق أو فستق أو خشخاش أو بزر رجلة أو وردو يطبخ حتى ينعقد ثم يتبل و يرفع وتسمى هذه الاطبخة بالفستقية والبندقية والخشخاشية والوردية وست النوبة للتي تعقد ببزر الرجلة لسوادها و يتفننون في ذلك تفننا يحتاج الى شرح أكثر من هذا

وأما الحلويات المتخذة من السكر فاصناف كثيرة يؤدي استقصاؤها الى الخروج عن الغرض و يحوج الى وضع كتاب مفرد وقد يتخذ منها ما يصلح لمداواة الامراض ولارباب الحمية من المرضى والناقهين اذا تاقت أنفسهم الى الحلوى فمن ذلك خبيص اليقطين وخبيص الجزر والوردية المتخذة بالورد والزنجبيلية المتخذة بالزنجبيل و كاقراص العود واقراص الليمون والاقراص الممسكة وغير ذلك وكثيرا ما يستعملون الفستق في أطبختهم وحلواتهم عوض اللوز وهو مما يفتح سدد الكبد و يتخذون منه هريسة تسمى هريسة الفستق وهي لذيذة جدا مسمنة وموادها لحم دجاج مسلوق منسرجزء وجلاب جزءان ومثل ثمن الجميع أو تسعه فستق مقشور مهروس وكيفية عملها ان يمسح اللحم المنسر بالشيرج ويجعل في الدست بحيث يشم النار و يسكب عليه الجلاب و يضرب حتى ينعقد ثم يلقى عليه الفستق و يضرب حتى يختلط ثم يرفع

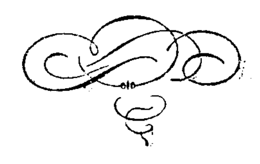
ومن غريب ما يتخذونه رغيف الصينية وصفته ان يؤخذ من الدقيق الحواري ثلاثون رطلا بالبغدادي و يعجن مع خمسة أرطال ونصف شيرجا كعجن خبز الخشكنان ثم يقسم بقسمين و يبسط أحدهما رغيفا في صينية نحاس قد اتخذت لذلك سعة قطرها نحو أربعة أشبار ولها عرى وثيقة ثم يعبى على الرغيف ثلاثة أخرفة مشوية محشوة الاجواف بلحم مدقوق مقلو بالشيرج والفستق المهروس والافاويه العطرة الحارة كالفلفل والزنجبيل والقرفة والمصطكى والكزبرة والكمون والهال والجوزة ونحو ذلك ويرش عليه ماء ورد قد ديف فيه مسك ثم يجعل على الخرفان و بين خلالها عشرون دجاجة وعشرون فروجا وخمسون فرخا بعضه مشوي محشو بالبيض و بعضه محشو باللحم و بعضه مطجن بماء

الحصرم

الحصرم أو بماء الليمون أو بنحو ذلك ثم يشوربا السنبوسك والقماقم المحشوة باللحم بعضها وبالسكر والحلوى بعضها وان شئت ان تزيده خروفا آخر تتخذه شرائح فلا بأس وكذا جبنا مقلوا فاذا نضد ذلك وصار كالقبة نضح عليه ماورد قد ديف فيه مسك وعود ثم غطى بالقسم الثاني من العجين بعد ان يمد رغيفا ويلحم بين الرغيفين كما يلحم الخشكنان بحيث لا يخرج منه نفس أصلا ثم يقرب الى رأس التنور حتى يتماسك عجينه ويبتدى في النضج فحينئذ ترسل الصينية في التنور ويعراها رويدا رويدا ويصبر عليه ريثما ينضج الخبز ويتورد ويحمر ثم يخرج ويمسح باسفنجة فيرش عليه ماورد ومسك ويرفع للاكل وهذا الصنيع صلح ان يحمل مع الملوك وأرباب الترف الى متصيداتهم النائية ومنتزهاتهم النازحة فانه وحده جملة فيها تفصيل سهل المحمل عسر التشعث جميل المنظر مشكور المخبر يحفظ الحرارة مدة طويلة

وأما عوامهم فقلما يعرفون شيئا من ذلك وأكثر أغذيتهم الصير والصحناة والدلينس والخبز والنيدة ونحو ذلك وشرابهم المزروه ونبيذ يتخذ من القمح ومنهم أصناف يأكلون الفأر المتولد في الصحارى والغيطان عند انحطاط النيل ويسمونه سمانى الغيط وبالصعيد قوم يأكلون الثعابين والميتات من الحمير والدواب وباسافل الارض قد يتخذ نبيذ من البطيخ الاخضر وبدمياط يكثر اكل السمك ويطبخ بكل ما يطبخ به اللحم من الرز والسماق والمدققات وغير ذلك

(آخر المقالة الاولى والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد المرسلين)



❊(المقالة الثانيـــة وهى ثلاثة فصول)❊

(الفصل الاول فى النيل وكيفية زياداته)
واعطاء علل ذلك وقوانينه

اعلم ان نيل مصر يمد وقت نضوب مياه الارض وذلك فى شمس السرطان والاسد والسنبلة فيعلو على الارض ويقيم أياما فاذا نزل عنها حرثت وزرعت ثم يكثر الندى فى الليل جدا وبه يتغذى الزرع الى ان يستحصد ونهاية ماتدعو اليه الحاجة من الزيادة ثمانى عشرة ذراعا فان زاد على ذلك فانه يروى أمكنة مستعلية وكأنه نافلة وعلى جهة التبرع ونهاية مايزيد على جهة الندرة أصابع من عشرين ذراعا وعند ذلك تستبحر أمكنة يدوم مكث الماء عليها فتفوت زراعتها و يبور من البلاد مما عادته ان يزرع نحو مما روى مما عادته ان يشرق ولنسم الثمانية عشرة نهاية الضرورى ولنسم العشرين نهاية الافراط وكل نهاية بين هاتين فلها ابتداء يقابلها فابتداء الضرورى ست عشرة ذراعا و يسمى ماء السلطان اذ عنده يستحق الخراج ويروى به نحو نصف البلاد ويغل من القوت بمقدار مايمان أهل البلاد سنتهم جمامع توسع ويروى سائر البلاد المعتادة بالرى بما زاد على ست عشرة ذراعا الى ثمانى عشرة وهذا يغل مقدار ماعير أهل البلاد سنتين فصاعدا وأما مانقص عن ست عشرة ذراعا فيروى به ماهو دون الكفاية ولا تحصل منه ميرة سنتهم ويكون تعذر القوت بمقدار نقصانه عن ست عشرة ذراعا

وحينئذ يقال ان البلاد قد شرقت واشتقاقها من قولهم شرقت الشمس اذا طلعت وظهرت وشرقت اللحم اذا نشرته ليجف ومنه قيل أيام التشريق لان لحوم الاضاحى تشرق فيها أى تبسط ومنه أيضا قولهم شرق بالماء وبالشراب لان الماء عند الاغتصاص وانسداد الحلق يظهر و يبرز ولا يلج ولما كانت الارض فى السنة التى لا يوفى نيلها بارزة لا يسترها الماء ولا يخفيها الغمر قيل شرقت ولم تنغط ولم ينلها النيل ويجوز ان يكون التشريق من قولهم ريح شرقية لان الريح الشرقية والقبلية وهى الجنوب هما عندهم دليل نقص الماء وسببه والغربية والبحرية وهى الشمال هما عندهم دليل الزيادة

الزيادة وسببها فيكون معنى قولهم شرقت البلاد أي كثر هبوب الرياح الشرقية حتى نسفت الماء وأظهرت الارض ثم سميت الارض شرقية باسم الريح وجمعت على شراقي مثل كرسي وكراسي وبختي وبخاتي

وأما النيل فهو فعل من نال ينال نيلا أو من نال ينول نولا يقال نولته تنويلا ونلته نولا اذا أعطيته والنيل اسم ما ينال مثل الرعي للمصدر والرعي لما يرعى وليس هذا من غرضنا ولكنه أمر عن فقلنا فيه

فمتى نقص عن الست عشرة ذراعا فهو ابتداء التفريط المقابل للافراط وكنا قد سقنا في الكتاب الكبير سني الافراط والتفريط مذ الهجرة الى سنتنا هذه وأما ههنا فانما نقتص ما شاهدنا على ما شرطنا

واتفق ان زيادة النيل بلغت في سنة ست وتسعين وخمس مائة اثنتي عشرة ذراعا واحدى وعشرين أصبعا وهذا المقدار نادر جدا فانه لم يبلغنا مذ الهجرة الى الآن ان النيل وقف على هذا الحد قط الا في سنة ست وخمسين وثلثمائة فانه وقف على دون هذا المقدار باربع أصابع وأما وقوفه على ثلاث عشرة ذراعا وأصابع فانه وقع نحو ست مرات في هذه المدة الطويلة وأما أربع عشرة ذراعا وأصابع فانه وقع نحو عشرين مرة وأما خمس عشرة ذراعا فاكثر من ذلك كثيرا ونحن نسوق أحوال زيادته في هذه السنة أعني سنة ست وتسعين وخمس مائة ثم نتبع ذلك بما حصل عند نا من علل ذلك وأسبابه فنقول ان العادة جارية ان تبتدي الزيادة من أبيب وتعظم في مسرى وتتناهى في توت أو بابه ثم تنحط فدخل أبيب في هذه السنة وابتدى النيل يتحرك بالزيادة وكان قبل ذلك بنحو شهرين قد بدت في مائه خضرة سلقية ثم كثرت وظهرت في رائحته دفرة كريهة وعفونة طحلبية كانه عصارة السلق اذا بقي أياما حتى يعفن وجعلت منه في وعاء ضيق الرأس فعلاه سحابة خضراء فرفعتها برفق وتركتها تجف فاذا بها طحلب لا شك فيه ويبقى الماء بعد رفع هذه السحابة عنه صافيا لا خضرة فيه الا ان طعمه وريحه باقيان وتجد فيه أيضا أجساما صغارا نباتية مبثوثة كالهباء لا ترسب وصار أرباب الحمية يتجنبون شربه وانما يشربون ماء الابار وأغليته بالنار ظنا مني انه يصلح بذلك كما وصى الاطباء ان يفعل بالمياه المتغيرة فزاد طعمه وريحه كراهة وسهكا فوجدت علة ذلك ان الاجزاء النباتية التي هي مبثوثة فيه

يلطف الطبخ جوهرها فيختلط بالماء اختلاطا أشد من الاول فيظهر التغير في ريحه وطعمه أكثر ويصير ذلك بمنزلة الماء اذا طبخ فيه سلق أو بقل أو نحوه فان النار تمزج بين الماء ولطيف النبات وأما الماء الذي يصلح بالطبخ واياه قصد الاطباء فهو الذي تغيره بمخالطة أجزاء أرضية فانها تنفصل عنه بالطبخ لان الماء حينئذ يلطف فترسب فيه

ثم انه دامت خضرته أياما من رجب وشعبان ورمضان واضمحلت في شوال وكان يصحب الخضرة دود وحيوانات اجمية وهذا التغير في الماء يكون بالصعيد أكثر لانه أقرب الى المبداء والمعدن وانتهت زيادته في الحادي عشر من توت الى اثنتي عشرة ذراعا واحدى وعشرين أصبعا ثم انحط وورد في شوال رسول ملك الحبشة ومعه كتاب يتضمن موت مطرانهم ويلتمس عوضه وذكر فيه ان مطرهم في هذه السنة ضعيف وان النيل قليل المد لذلك

وكنا اقتصصنا في ذلك الكتاب حال النيل في هذه السنة وفي السنين الخوالي رجاء ان نعثر على نسب بينها واعراض لها نقف منها على المتجددات من أحوال النيل في سني الزيادة وسني النقصان فيمكننا تقدمة المعرفة وأخذ الاهبة والانذار بالحوادث المتوقعة فان أقباط الصعيد يزعمون انهم يتكهنون على مقدار الزيادة في السنة من طين معلوم الوزن يجمعونه في ليلة معروفة ويزنونه غدوة فيجدونه قد زاد فيحكمون من مقدار زيادته على مقدار زيادة النيل وقوم يتكهنون من حمل النخل وقوم من تعسيل النحل

ورأيت الغالب من حال القاع انه اذا كان أقل من المعتاد كانت الزيادة في تلك السنة أقل من المعتاد هذا حكمه الاكثرى فان أتت الخضرة في أول زيادته وقبيلها قوي الظن بضعف جريته فان طالت أيام الخضرة وضعف مقدار الزيادة قوي الظن جدا بقلته فانه دامت الخضرة في أبيب اذن بقلة المد وعالى هذا ظاهرة أما كون قلة القاع دليلا على قلة الزيادة فلان المطر الذي هو علة الزيادة ينبغي ان يكون فيه من الكثرة ما يرد القاع الى الحالة المعتادة ثم يزيد عليها الزيادة المعتادة وهذه كثرة لا تفي بها أمطار كل سنة ولا توجد كل وقت مثاله ان القاع اذا كان ذراعا مثلا فينبغي ان تكون الزيادة خمس عشرة ذراعا حتى يبلغ ماء السلطان فان كان القاع ست أذرع احتاج من الزيادة الى عشر

أذرع

أذرع وكون هـذا أيسر من الاول وأيضـا فان جرية النيل الاصلية مادتهـا عيون وأما زيادته فمادتها أمطار ونقصان العيون دليل على احتراق السنة ويبس الهواء وقلة البخار فيقل المطر لذلك وأيضا فان المد الزائد على القاع أكثره في الغالب ثلاث عشرة ذراعا فاذا كان القـاع ذراعا أوذراعين ثم زاد عليه أكثر المد وهو ثلاث عشرة ذراعا لم يلحق ماء السلطان

وأما كون الخضرة دليلا على قلة الزيادة فلان النيل المـاضي يغادر نقائـع وغدرانا بعضها ينضب وبعضها يطحلب ويعطن ويأسن فاذا مرت بها أمطار ضعيفة اختلطت بها وصبتها الى النيل ولم يكن فيها من الكثرة ما يغلب على النقائـع فيصلحها بل النقائـع تغلب على الامطار المتصلة بها فتحيلها الى الفساد وينحط منهـا مقدار بعد مقدار ويتواصل الينا وكلما كانت الامطار أضعف وأقل كانت أيام جرية الخضرة أطول فاذا كانت أمطار قوية غسلت تلك المستنقعات وغلبت عليهـا وحدرتهـا بسرعة مغمورة بطين تجرفه بقوتها فيخفى منظرها ويتعفى أثرها وأيضا فان الانهار الخارجة من جبل القمر تجتمع باخرى الى بركة عظيمة ذات مساحة فسيحة ومن هـذه البركة يخرج هذا النيل ولا شك ان هـذه البركة ماؤها دائم فيطحلب ولا سيمـا شطوطها وضحاضحها فاذا وقع الوسمي وجرى اليهـا سيوله اثارت ما في قعرها وحركت ما كان سا كنا فيها وانكسح ايضا ما في الشطوط الى الاوساط وانسحب الى محل الجرية فاستصحبته وأما كون الخضرة في أبيب دليل النقصان فلان أبيب مظنه الزيادة وغلبة المـاء على هذه الاوشاب فاذا بقي على خضرته ابان زيادته اذن بقلته وهذه الاجزاء النباتية التي تصحب المـاء انمـا هي حطام النبـات المتكون في المـاء وحوله كالبردي والديس والسمـار والطحلب وغير ذلك فتتعفن فيـه وتتصغر اجزاؤها وتنبعث معه ومما يوجب انبعاثها أيضا نقصان المـاء من تلك البركة فان ماءها اذا قل اتصلت الجرية بقعرها فانسحب كدرها وراسبها واذا كانت غمرا كانت الجرية من أعلاها وصفوها فاعرف ذلك ولهذا لا تاتي هذه الخضرة الا في السنة التي يحترق فيها النيل وكلمـا كان احتراقه أشد كان ظهور الخضرة أكثر وفي السنة التي يـكون نيلهـا غمرا لا يحترق لا ترى الخضرة لان كثرته لكثرة مباديه وارتفاع جريته عن مقر كدورته فاذا اجتمعت هذه الدلائل كلها أو جلها في سنة فظن ظنا قويا بان الزيادة قليلة فيهـا فهذه

فائدة هذا الاقتصاص وفيه فوائد أخر منها ان من يأتى بعد اذا أضافه الى ما يشاهده يوشك ان يعثر منه على مناسبة أو دلالة أخرى على مقدار الزيادة والنقصان فى كل سنة ومنها ان أصحاب الاحكام النجومية اذا تأملوا المدد التى بين النقصانات والزيادات واعتبروا أحوال الكواكب والاقترانات فيها وطوالع مصر وبلاد السودان وأرباب الولايات فيها من الكواكب ومزجوا ذلك أمكن ان تقوم لهم مما يتكرر صورة تجربية فى مقدار الزيادة والنقصان

فانى الى الآن لم أر المنجمى مصر بذلك عناية ولم أجد عندهم ما تسكن اليه النفس سوى كر ولا ينبنى على أصل

فانه بهذا الطريق استخرج معظم أحكام النجوم وذلك انهم شاهدوا حوادث أرضية تقترن بنصبات فلكية وحركات علوية ورصدوا ذلك فالفوه يتكرر فنسبوا تلك الحوادث الى تلك الهيئات والنصبات فصاروا متى عثروا فى تسييرهم لحركات الاشخاص العلوية على مثل تلك النصبة والهيئة حكموا بوقوع مثل تلك الحادثة

ويروى عن أهل التجربة من قدماء الاقباط انه اذا كان الماء فى اثنى عشر يوما من مسرى اثنتى عشرة أصبعا من اثنتى عشرة ذراعا فهى سنة ماء والا فالماء ناقص

ورأيت بعض من شرح الثمرة لبطليموس ذكر فى تفسير الكلمة الاخيرة التى يقول فى أولها النيازك تدل على جفاف الابخرة فاذا كان فى جهة واحدة دلت على رياح تعرض فى تلك الجهة واذا كانت شائعة فى الجهات كلها دلت على نقصان المياه واضطراب الهواء وعلى جيوش تختلف فقال هذا المفسر انى لاذكر فى سنة تسعين ومائتين ان الشهب بمصر انتثرت وعمت الجو بأسره فارتاع الناس لها ولم تزل تكثر فلم يمض لذلك جزء من السنة يسير حتى ظمأ الناس وبلغ نيل مصر ثلاث عشرة ذراعا واضطرب الناس اضطرابا زالت به دولة الطولونى من مصر وانتثرت فى سنة ثلثمائة من سائر جهات الجو فنقص النيل ايضا ووقعت همزجات واضطراب فى المملكة وهذه لعمرى دلائل قوية ولكنها عامة لجميع الاقاليم وليست خاصة بمصر فقط على انه ايضا قد وقع هذا الحادث بعينه فى سنتنا هذه من تناثر الكواكب فى أولها ونشيش الماء فى آخرها وتغير ملك مصر فيها بعمه الملك العادل بعد حرب كانت بينهما

(الفصل الثانى فى حوادث سنة سبع وتسعين وخمس مائة)

ودخلت سنة سبع مفترسة أسباب الحيوة وقد يئس الناس من زيادة النيل وارتفعت الاسعار وأقحطت البلاد وأشعر أهلها البلاء وهرجوا من خوف الجوع وانضوى أهل السواد والريف الى أمهات البلاد وانجلى كثير منهم الى الشام والمغرب والحجاز واليمن وتفرقوا فى البلاد أيادى سبا ومزقوا كل ممزق ودخل الى القاهرة ومصر منهم خلق عظيم واشتد بهم الجوع ووقع فيهم الموت وعند نزول الشمس الحمل وبىء الهواء ووقع المرض والموتان واشتد بالفقراء الجوع حتى أكلوا الميتات والجيف والكلاب والبعر والاروات ثم تعدوا ذلك الى ان أكلوا صغار بنى آدم فكثيرا ما يعثر عليهم ومعهم صغار مشويون أو مطبوخون فيأمر صاحب الشرطة باحراق الفاعل لذلك والآكل

ورأيت صغيرا مشويا فى قفة وقد أحضر الى دار الوالى ومعه رجل وأمراة زعم الناس انهما أبواه فامر باحراقهما

ووجد فى رمضان بمصر رجل وقد جردت عظامه عن اللحم فاكل وبقى قفصا كما تفعل الطباخون بالغنم ومثل هذا أعوز جالينوس مشاهدته ولذلك تطلبه بكل حيلة وكذلك كل من أثر الاطلاع على علم التشريح وحين ما نشم الفقراء فى أكل بنى آدم كان الناس يتناقلون أخبارهم ويفيضون فى ذلك استفظاعا الامره وتعجبا من ندوره ثم اشتد قرمهم اليه وضراوتهم عليه بحيث اتخذوه معيشة ومطيبة ومدخرا وتفننوا فيه وفشا عنهم ووجد بكل مكان من ديار مصر فسقط حينئذ التعجب والاستبشاع واستهجن الكلام فيه والسماع له

ولقد رأيت امرأة مشججة يسحبها الرعاع فى السوق وقد ظفر معها بصغير مشوى تأكل منه وأهل السوق ذاهلون عنها ومقبلون على شؤونهم لم أرفيهم من يعجب لذلك أو ينكره فعاد تعجبى منهم أشد وما ذلك الا لكثرة تكرره على احساسهم حتى صار فى حكم المألوف الذى لا يستحق ان يتعجب منه

ورأيت قبل ذلك بيومين صبيا نحو الرهاق مشويا وقد أخذ به شابان أقرا بقتله وشيه وأكل بعضه

وفي بعض الليالي بعيد صلوة المغرب كان مع جارية فطيم تلاعبه لبعض المياسير وبينما هو الى جانبها اهتبلت غفلتها ساعنه صعلوكة فبقرت بطنه وجعلت تأكل منه نيا وحكى لي عدة نساء انه يتوثب عليهن لاقتناص أولادهن ويحامين عنهم بجهدهن

ورأيت مع امرأة فطيما لحيما فاستحسنته وأوصيتها بحفظه فحكت لي انها بينا تمشي على الخليج انقض عليها رجل جاف ينازعها ولدها فترامت على الولد نحو الارض حتى أدركها فارس وطرده عنها وزعمت انه كان يهم بكل عضو يظهر منه ان يأكله وان الولد بقي مدة مريضا لشدة تجاذبه المرأة والمفترس

وتجد أطفال الفقراء وصبيانهم ممن لم يبق له كفيل ولا حارس منبثين في جميع أقطار البلاد وأزقة الدروب كالجراد المنتشر ورجال الفقراء ونساؤهم يتصيدون هؤلاء الصغار ويتغذون بهم وانما يعثر عليهم في الندرة واذا لم يحسنوا التحفظ

وأكثر ما كان يطلع من ذلك مع النساء وما أظن العلة فيه الا ان النساء أقل حيلة من الرجال وأضعف عن التباعد والاستتار ولقد أحرق بمصر خاصة في أيام يسيرة ثلاثون امرأة كل منهن تقر انها اكلت جماعة فرأيت امرأة قد أحضرت الى الوالي وفي عنقها طفل مشوي فضربت أكثر من مائتي سوط على ان تقر فلا تحير جوابا بل تجدها قد انخلعت عن الطباع البشرية ثم سحبت فماتت على مكان

واذا أحرق آكل أصبح وقد صار ما كولا لانه يعود شواء ويستغنى عن طبخه ثم فشا فيهم أكل بعضهم بعضا حتى تفانى أكثرهم ودخل في ذلك جماعة من المياسير والمساتير منهم من يفعله حاجة ومنهم من يفعله استطابة

وحكى لنا رجل انه كان له صديق أدقع في هذه النازلة فدعاه صديقه هذا الى منزله ليأكل عنده على ماجرت به عادتهما قبل فلما دخل منزله وجد عنده جماعة عليهم رثاثة الفقر وبين أيديهم طبيخ كثير اللحم وليس معه خبز فرابه ذلك وطلب المرحاض فصادف عنده خزانة مشحونة برمم الآدمي وباللحم الطري فارتاع وخرج فارا

وظهر من هؤلاء الخبثاء من يتصيد الناس باصناف الحبائل ويجتلبونهم الى مكامنهم بانواع المخاتل وقد جرى ذلك لثلاثة من الاطباء ممن ينتابني أما أحدهم فان أباه خرج فلم يرجع وأما الآخر فان امرأة أعطته درهمين على ان يصحبها الى مريضها فلما توغلت به

مضائق

مضائق الطرق استراب وامتنع عنها وشنع عليها فتركت درهميها وانسلت وأما الثالث فان رجلا استصحبه الى مريضه في الشارع بزعمه وجعل في اثناء الطريق يصدق بالكسر ويقول اليوم يغتنم الثواب ويتضاعف الاجر ولمثل هذا فليعمل العاملون ثم كثر حتى ارتاب منه الطبيب ومع ذلك فحسن الظن يغلبه وقوة الطمع تجذبه حتى أدخله دارا خربة فزاد استشعاره وتوقف في الدرج وسبق الرجل فاستفتح فخرج اليه رفيقه يقول له هل مع ابطائك حصل صيد ينفع فخرع الطبيب لما سمع ذلك والقى نفسه الى اصطبل من طاقة صادفها السعادته فقام اليه صاحب الاصطبل يسأله عن قضيته فاخفاها عنه خوفا منه أيضا فقال قد علمت حالك فان أهل هذا المنزل يذبحون الناس بالختل

ووجد باطفيح عند عطار عدة خوابي مملوءة بلحم الآدمي وعليه الماء والملح فسألوه عن علة اتخاذه والاستكثار منه فقال خفت اذا دام الجدب ان يهزل الناس

وكان جماعة من الفقراء قد آووا الى الجزيرة وتستروا ببيوت طين يتصيدون فيها الناس ففطن لهم وطلب قتلهم فهربوا ووجد في بيوتهم من عظام بني آدم شئ كثير وخبرني الثقة ان الذي وجد في بيوتهم أربع مائة جمجمة

ومما شاع وسمع من لفظ الوالي ان امرأة أتته سافرة مذعورة تذكر انها قابلة وان قوما ستدعوها وقدموا لها صحنا فيه سكباج محكم الصنعة مكمل التوابل فالفته كثيرا للحم بائنا للحم المعهود فتقززت منه ثم وجدت خلوة ببنت صغيرة فسألتها عن اللحم فقالت ن فلانة السمينة دخلت لتزورنا فذبحها أبي وها هي معلقة أرابا فقامت القابلة الى لخزانة فوجدتها أنابير لحم فلما قصت على الوالي القصة أرسل معها من هجم الدار أخذ من فيها وهرب صاحب المنزل ثم صانع عن نفسه في خفية بثلثمائة دينار ليحقن بذلك دمه

ومن غريب ما حدث من ذلك ان امرأة من نساء الاجناد ذات مال ويسار كانت حاملا وزوجها غائب في الخدمة وكان يجاورها صعاليك فشمت عندهم رائحة طبخ فطلبت منه كما من عادة الحبالى فالفته لذيذا فاستزادتهم فزعموا انه نفد فسألتهم عن كيفية عمله فاسروا اليها انه لحم بني آدم فواطأتهم على ان يتصيدوا لها الصغار وتجزل لهم العطاء فلما تكرر ذلك منها وضريت وغلبت عليها الطباع السبعية وشى بها جواريها خوفا منها

فهجم عليها فوجد عندها من اللحم والعظام ما يشهد بصحة ذلك فحبست مقيدة وأرجئ قتلها احتراما لزوجها وابقاء على الولد فى جوفها

ولو اخذنا نقتص كل ما نرى ونسمع لوقعنا فى التهمة أوفى الهذر وجميع ما حكيناه مما شاهدناه لم نتقصده ولا تتبعنا مظانه وانما هو شئ صادفناه اتفاقا بل كثيرا ما كنت أفر من رؤيته لبشاعة منظره

وأما من يتحين ذلك بدار الوالى فانه يجد منه أصنافا تحضر مع آناء الليل والنهار وقد يوجد فى قدر واحد اثنان وثلاثة وأكثر ووجد فى بعض الايام قدر فيها عشر أيد كما تطبخ أكارع الغنم ووجد مرة أخرى قدر كبيرة وفيها رأس كبير وبعض الاطراف مطبوخا بقمح وأصناف من هذا الجنس تفوت الاحصا

وكان عند جامع ابن طولون قوم يتخطفون الناس ووقع فى حبالتهم شيخ كتبى بدين ممن يتبيعنا الكتب فافلت بجريعة الذقن

وكذلك بعض قوام جامع مصر وقع فى حبالة قوم آخرين بالقرافه فتداركه الناس فخلص من الوهق وله حصاص وأما من خرج عن أهله فلم يرجع اليهم فخلائق كثير

وحكى لى من أثق به انه اجتاز على امرأة بخربة وبين يديها ميت قد انتفخ وتفجر وهى تأكل من أفخاذه فانكر عليها فزعمت انه زوجها وكثير ما يدعى الاكل ان المأكول ولده أو زوجه أو نحو ذلك ورؤى مع عجوز صغير تأكله فاعتذرت بان قالت انما هو ولد ابنتى وليس باجنبى منى ولان أكله أنا خير من أن يأكله غيرى

وأشباه هذا كثير جدا حتى انك لا تجد أحدا فى ديار مصر الا وقد رأى شيئا من ذلك حتى أرباب الزوايا والنساء فى خدورهن

ومما شاع أيضا نبش القبور وأكل الموتى وبيع لحومهم

وهذه البلية التى شرحناها وجدت فى جميع بلاد مصر ليس فيها بلد الا وقد أكل فيه الناس أكلا ذريعا من أسوان وقوص والفيوم والمحلة والاسكندرية ودمياط وسائر النواحى

وخبرنى بعض أصحابى وهو تاجر مأمون حين ورد من الاسكندرية بكثرة ما عاين بها من ذلك وأعجب ما حكى لى انه عاين أرؤس خمسة صغار مطبوخة فى قدر واحدة بالتوابل الجيدة

وهذا

وهذا المقدار من هذا الاقتصاص كاف فاني وان كنت قد اسهبت اعتقد اني قد قصرت

وأما القتل والفتك في النواحي فكثير فاش في كل فج ولاسيما طريقي الفيوم والاسكندرية وقد كان بطريق الفيوم ناس في مراكب يرخصون الاجرة على الركاب فاذا توسطوا بهم الطرق ذبحوهم وتساهموا اسلابهم وظفر الوالي منهم بجماعة فقتلهم وأقر بعضهم عندما أوجع ضربا ان الذي خصه دون رفقائه ستة آلاف دينار
وأما موت الفقراء هزالا وجوعا فامر لا يطيق علمه الا الله سبحانه وتعالى وانما نذكر منه كالانموذج يستدل به اللبيب على فظاعة الامر

فالذي شاهدناه بمصر والقاهرة وما تاخم ذلك ان الماشي أين كان لا يزال يقع قدمه أو بصره على ميت أو من هو في السياق أو على جمع كثير بهذه الحال وكان يرفع من القاهرة خاصة الى الميضاة كل يوم ما بين مائة الى خمس مائة وأما مصر فليس لموتاها عدد ويرمون ولا يوارون ثم بآخرة عجز عن رميهم فبقوا في الاسواق وبين البيوت والدكاكين وفيها والميت منهم قد تقطع والى جانبه الشوا والخباز ونحوه

وأما الضواحي والقرى فانه هلك أهلها قاطبة الا ما شاء الله وبعضهم انجلى عنها اللهم الا الامهات والقرى الكبار كقوص والاشمونين والمحلة ونحو ذلك ومع هذا أيضا فلم يبق فيها الا تحلة القسم وان المسافر ليمر بالبلدة فلا يجد فيها نافخ ضرمة ويجد البيوت مفتحة وأهلها موتى متقابلين بعضهم قد رم وبعضهم طري وربما وجد في البيت أساسه وليس له من يأخذ

حدثني ذلك غير واحد كل منهم حكى ما يعضده به قول الآخر قال أحدهم دخلنا مدينة فلم نجد فيها حيوانا في الارض ولا في السما فتخللنا البيوت فالقينا أهلها كما قال الله (عز وجل) (جعلناهم حصيدا خامدين) فتجد ساكن كل دار موتى فيها الرجل وزوجه وأولاده قال ثم انتقلنا الى بلد آخر ذكرنا انه كان فيه أربع مائة دكان للحياكة فوجدناها كالتي قبلها في الخراب وان الحائك في بير حياكته ميت وأهله موتى حوله

فحضرنى قول الله تعالى (ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون) قال ثم انتقلنا الى بلد آخر فوجدناه كالذى قبله ليس به أنيس وهو مشحون بموت أهله قال واحتجنا الى الاقامة به لاجل الزارعة فاستاجرنا من ينقل الموتى مما حولنا الى النيل كل عشرة بدرهم قال ولكن قد بدلت البلاد بالذئاب والضباع ترتع فى لحوم أهلها

ومن عجيب ماشاهدت انى كنت يوما مشرفا على النيل مع جماعة فاجتاز علينا فى نحو ساعة نحو عشرة موتى كانهم القرب المنفوخة هذا من غير ان نتقصدر ؤيتهم ولا احطنا بعرض البحر وفى غد ذلك اليوم ركبنا سفينة فراينا أشلاء الموتى فى الخليج وسائر الشطوط كما شبهها ابن حجر بانابيش العنصل وخبرت عن صياد بفرضة تنيس انه مر به فى بعض نهار اربع مائة غريق يقذف بهم النيل الى البحر الملح

وأما طريق الشام فقد تواترت الاخبار انها صارت مزرعة لبنى آدم بل محصدة وانه عادت مأدبة بلحومهم للطير والسباع وان كلابهم التى صحبتهم من منجلاهم هى التى تأكل فيهم

وأول من هلك فى هذه الطريق أهل الحوف عندما انجعوا الى الشام وانتشروا فى هذه المسافة مع طولها كالجراد المحسوس ولم تزل تتواصل هلكاهم الى الآن وانتهى انتجاعهم الى الموصل وبغداد وخراسان والى بلاد الروم والمغرب واليمن ومزقوا فى البلاد كل ممزق

وكثيرا ما كانت المرأة تملص من صبيتها فى الزحام فيتضورون حتى يموتوا

واما بيع الاحرار فشاع وذاع عند من لا يراقب الله حتى تباع الجارية الحسناء بدراهم معدودة وعرض على جاريتان مراهقتان بدينار واحد ورأيت مرة اخرى جاريتين احداهما بكر ينادى عليهما احد عشر درهما

وسألتنى امرأة ان أشترى ابنتها وكانت جميلة دون البلوغ بخمسة دراهم فعرفتها ان ذلك حرام فقالت خذها هدية وكثيرا ما يترامى النساء والولدان الذين فيهم صباحة على الناس بان يشتروهم أو يبيعوهم وقد استحل ذلك خلق عظيم ووصل سبيهم الى العراق وأعماق خراسان وغير ذلك

وأعجب

وأعجب من جميع ما اقتصصناه ان الناس مع ترادف هذه الايات عاكفون على أصنام شهواتهم لا يرعوون منغمسون في بحر ضلالاتهم كانهم هم المستثنون فمن ذلك اتخاذهم بيع الاحرار متجرا ومكتسبا ومنه عهارهم بهولاء النسوة حتى ان منهم من يزعم انه افتض خمسين بكرا ومنهم من يقول سبعين كل ذلك بالكسر

وأما خراب البلاد والقرى وخلو المساكن والدكاكين فهو مما يلزم هذه الجملة التي اقتصصناها وناهيك ان القرية التي كانت تشتمل على زهاء عشرة آلاف نسمة تمر عليها فتراها دمنة وربما وجد فيها نفر وربما لم يوجد وأما مصر فخلا معظمها وأما بيوت الخليج وزقاق البركة وحلب والمقس وما تاخم ذلك فلم يبق فيها بيت مسكون أصلا بعدما كان كل قطر منها قدر مدينة في زحمة من الناس حتى ان الرباع والمساكن والدكاكين التي في سرة القاهرة وخيارها أكثرها خال خراب وان ربعا في أعمر موضع بالقاهرة فيه نيف وخمسون بيتا كلها خالية سوى أربعة أبيات اسكنت من يحرس الموضع

ولم يبق لاهل المدينة وقود في تنانيرهم وافرانهم وبيوتهم الا خشب السقوف والابواب والزروب

ومما يقضى منه العجب ان جماعة من الذين مازالوا محدودين سعدوا في دنياهم هذه السنة فمنهم من أثرى بسبب متجرة في القمح ومنهم من أثرى بسبب مال انتقل اليه بالارث ومنهم من حسنت حاله لا بسبب معروف فتبارك من بيده القبض والبسط ولكل مخلوق من عنايته قسط

وأما خبر النيل في هذه السنة فانه احترق في برمودة احتراقا كثيرا وصار المقياس في أرض جرز وانحسر الماء عنه نحو الجيزة وظهر في وسطه جزيرة عظيمة طويلة ومقطعات أبنية وتغير الماء في ريحه وطعمه ثم تزايد التغير ثم انكشف أمره عن خضرة طحلبية كلما تطاولت الايام ظهرت وكثرت كالتي ظهرت في أبيب من السنة الخالية ولم تزل الخضرة تتزايد الى آخر شعبان ثم تناقصت الى ان ذهبت وبقي في الماء اجزاء نباتية منبثة فقط وطاب طعمه وريحه ثم أخذ في رمضان تنمى وتقوى جريته الى اليوم السادس عشر منه فقاس فيه ابن أبي الرداد قاع البركة فكان ذراعين وأخذ في زيادة ضعيفة أضعف من

السنة الخالية ولم يزل فى زيادة ضعيفة الى ثامن ذى القعدة وهو السابع عشر من مسرى فزاد أصبعا ثم وقف ثلاثة أيام فايقن الناس بالبلاء واستسلموا للهلكة ثم أخذ فى زيادات قوية أكثرها ذراع الى ثالث ذى الحجة وهو السادس من توت فبلغ خمس عشرة ذراعا وست عشرة أصبعا ثم انحط من يومه وانهزم على فوره ومس بعض البلاد تحلة القسم فكأنما زارها طيف خياله فى الحلم

وانما انتفع به ما كان من البلاد مطمئنا فاروى المنخفضات كالغربية ونحوها غيران القرى خالية عن فلاح أوحرات أصلافهم كما قال الله تعالى (فاصبحوا الاترى الا مساكنهم) وانما أرباب الجدات يجمعون شدادهم و يلتقطون افرادهم وقد عز الحراث والبقر جدا حتى يبتاع الثور الواحد بسبعين دينارا والهزيل بدون ذلك

وكثير من البلاد ينحسر عنه الماء بغير حقه ولغير وقته اذليس بها من يمسك الماء و يحبسه فيها فتبور لذلك مع ريها وكثير مما روى يبور لعجز أهله عن تقاويه والقيام عليه وكثير مما زرع أكلته الدودة وكثير مما سلم منها اضوى وعطب

ونهاية سعر القمح فى هذه السنة خمسة دنانير الاردب والفول والشعير بأربعة دنانير وأما بقوص والاسكندرية فبلغ ستة دنانير

ومن الله سبحانه يرجى الفرج وهو المتيح للخير بمنه وجوده

❊ (الفصل الثالث فى حوادث سنة ثمان وتسعين وخمس مائة) ❊

ودخلت هذه السنة والاحوال التى شرحناها فى السنة الخالية على ذلك النظام أوفى تزايد الى زهاء نصفها فتناقص موت الفقراء لقلتهم لا لارتفاع السبب الموجب وتناقص أكل بنى آدم ثم انقطع خبره أصلا

وقل خطف الاطعمة من الاسواق وذلك لفناء الصعاليك وقلتهم من المدينة وانحطت الاسعار حتى عاد الاردب بثلاثة دنانير لقلة الآكلين لا لكثرة المأكول وخفت المدينة بأهلها واختصرت واختصر جميع ما فيها على تلك النسبة وألف الناس الغلاء واستمروا على البلاء حتى عاد ذلك كأنه مزاج طبيعى

وحكى

وحكى لى انه كان بمصر تسع مائة منسج للحصر فلم يبق الا خمسة عشر منسجا وقس على هذا سائر ماجرت العادة ان يكون بالمدينة من باعة وخبازين وعطارين واساكفة وخياطين وغير ذلك من الاصناف فانه لم يبق من كل صنف من هؤلاء الا نحو مابقى من الحصريين أو اقل من ذلك

وأما الدجاج فعدم رأسا لولا انه جلب منه شئ من الشأم وحكى لى ان رجلا مصريا شارف الفقر فالهم ان اشترى من الشأم دجاجا بستين دينارا و باعها بالقاهرة على القماطين بنحو ثمانى مائة دينارا ولما وجد البيض بيع بيضة بدرهم ثم بيضتين ثم ثلاثا ثم اربعا واستمر على ذلك واما الفراريج فبيع الفروج بمائة درهم ولبث برهة يباع الفروج بدينار فصاعدا

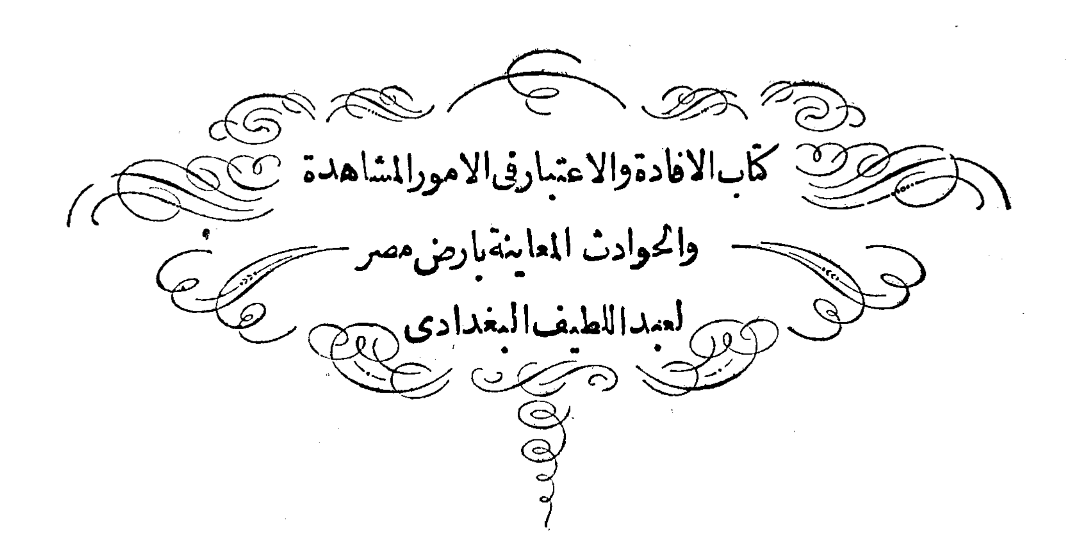
وأما الافران فانما توقد باخشاب الدور فيشترى الفران الدار بالثمن البخس ويقد زروبه وأخشابه اياما ثم يشترى آخر وربما كان فيهم من تنشطه نذالته فيخرج ليلا يجوس خلال الديار فيحتطبها ولا يجد زاعرا

وكثيرا ماتقفر الدار بمالكها ولا يجد لها مشتريا فيفصل اخشابها وأبوابها وسائر آلاتها فيبيعها ثم يطرحها مهدومة وكذلك أيضا يفعلون بدور الكرا

وأما الهلالية ومعظم الشارع ودور الخليج وحارة الساسة والمقس وماتاخم ذلك فلم يبق فيها أنيس وانما ترى مساكنهم خاوية على عروشها وكثيرا من أهلها موتى فيها ومع ذلك فالقاهرة بالقياس الى مصر فى غاية العمارة وأهلها فى غاية الكثرة

وأما الضواحى وسائر البلاد فيباب رأسا حتى ان المسافر يسير فى كل جهة أياما لا يصادف حيوانا الا الرمم ماخلا البلاد الكبار كقوص واخميم والمحلة ودمياط والاسكندرية فان فيها بقايا واما ماعدا هذه وأمثالها فان البلد الذى كان يحتوى على ألوف خال او كالخالى

واما الاملاك ذوات الاجر المعتبرة فان معظمها اخلاء ولم يبق دأب أهلها الاحراستها بسد ابوابها وتحصين مسالقها او اسكانها من يحرسها باجرة اللهم الا ما كان من الملك فى قصبة المدينة [illegible] كون بأخف أجرة وأعرف ربعا فى اعمره وضع بالمدينة

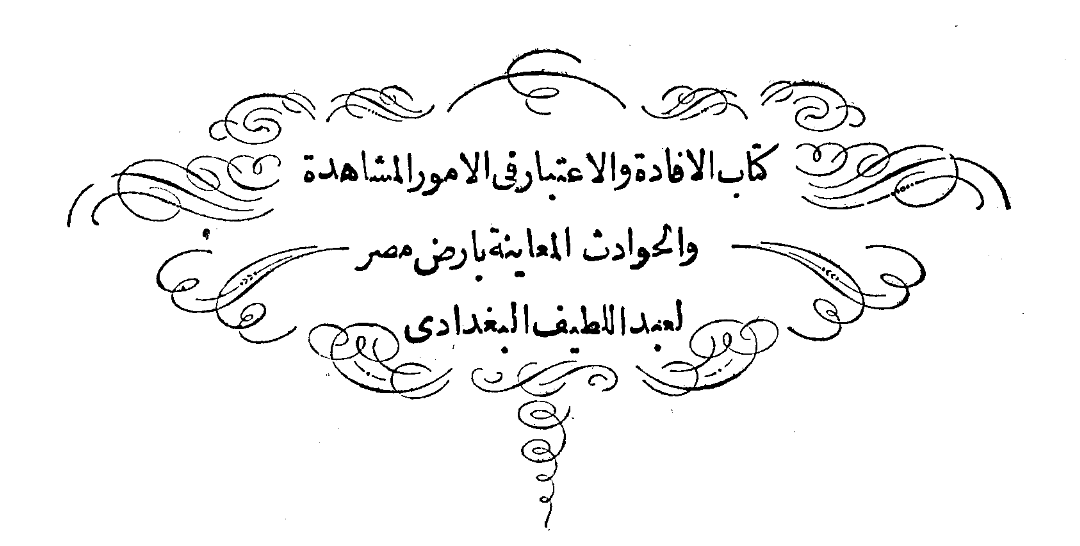


كتاب الافادة والاعتبار فى الامور المشاهدة
والحوادث المعاينة بارض مصر

لعبد اللطيف البغدادى

(طبعة اولى)

بمطبعة وادى النيل سنة ١٢٨٦



كتاب الافادة والاعتبار فى الامور المشاهدة
والحوادث المعاينة بارض مصر

لعبد اللطيف البغدادى

(طبعة اولى)

بمطبعة وادى النيل سنة ١٢٨٦

(نسخة الكتاب الوارد من حماة)

ولما كان سحرة يوم الاثنين السادس والعشرين من شعبان حدثت زلزلة كادت الارض تسير سيرا والجبال تمور مورا وماظن أحد من الخلق الا أنها زلزلة الساعة وأتت دفعتين في ذلك الوقت أما الدفعة الاولى فاستمرت مقدار ساعة أو تزيد عليها وأما الثانية فكانت دونها ولكن أشدّ منها وتأثر منها بعض القلاع فأولها قلعة حماة مع اتقانها وعمارتها وبارين مع اكتنازها ولطافتها وبعلبك مع قوتها ووثاقتها ولم يرد عن البلاد الشاسعة والقلاع النازحة الى الآن ماأذكره

ثم حدث في يوم الثلاثا السابع والعشرين منه عند صلاة الظهر زلزلة استوى في علها اليقظان والنائم وتزعزع لها القاعد والقائم ثم حدثت في هذا اليوم أيضا وقت صلاة العصر ووصل الخبر من دمشق بأن الزلزلة افسدت فيها منارة الجامع الشرقية وأكثر الكلاسة والبيمارستان جميعه وغدة مساكن تساقطت على أهلها فهلكوا

(نسخة الكتاب الوارد من دمشق)

المملوك ينهي حدوث زلزلة ليلة الاثنين سادس وعشرين شعبان وقت انفجار الفجر وأقامت مدّة قال بعض الاصحاب انها مقدار ماقرأ سورة الكهف وذكر بعض المشايخ بدمشق انه لم يشاهد مثلها فيما تقدّم ومما أثرت في البلد سقوط ست عشرة شرافة من الجامع واحدى الموازن وتشقق أخرى وقبة الرصاص يعني النسر وانخساف الكلاسة ومات فيها رجلان ورجل آخر على باب جيرون وتشقق بالجامع مواضع كثيرة وسقط بالبلد عدّة دور

وذكر عن بلاد المسلمين ان بانياس سقط بعضها وصفد كذلك ولم يبق بها الا من هلك سوى ولد صاحبها وكذلك تبنين ونابلس لم يبق بها جدار قائم سوى حارة السمرة ويذكر ان القدس سالم والحمد لله

وأما بيت جن فلم يبق منه ولا اساس الجدران الا وقد أتى عليه الخسف وكذلك أكثر بلاد حوران غارت ولم يعرف البلد منها موضع يقال فيه هذه القرية الفلانية ويقال ان عكة سقط أكثرها وصور ثلثها وعرقة خسف بها وكذلك صافيثا

وأما جبل لبنان فهو موضع يدخل الناس اليه بين جبلين يجمع منه الرياس الاخضر فيقال ان الجبلين انطبقا على من بينهما وكانت عدتهم تناهز مائتي رجل وقد اكثر الناس في حديثها

وأقامت بعد ذلك أربعة أيام تحدث في النهار والليل

ونسأل الله لطفه وتدبيره وهو حسبنا ونعم الوكيل (٥)

ومن عجيب ماشاهدناان جماعة ممن ينتابني في الطب وصلوا الى كتاب التشريح فكان يعسر أفهامهم وفهمهم لقصور القول عن العيان فأخبرنا ان بالمقس تلا عليه رمم كثيرة فخرجنا اليه فرأينا تلا من رمم له مسافة طويلة يكاد يكون ترابه اقل من الموتى به تحدس ما يظهر منهم للعيان بعشرين ألفا فصاعدا وهم على طبقات في قرب العهد وبعده

فشاهدنا من شكل العظام ومفاصلها وكيفية اتصالها وتناسبها وأوضاعها ماافادنا علما لانستفيده من الكتب اما انها سكتت عنها أولا يفي لفظها بالدلالة عليه أو يكون ماشاهدناه مخالفا لما قيل فيها والحس أقوى دليلا من السمع فان جالينوس وان كان في الدرجة العليا من التحري والتحفظ فيما يباشره ويحكيه فان الحس أصدق منه

ثم بعد ذلك يتخيل لقوله مخرج ان أمكن فمن ذلك عظم الفك الاسفل فان الكل قد أطبقوا على انه عظمان بمفصل وثيق عند الحنك وقولنا الكل انما نعني به هاهنا جالينوس وحده فانه هو الذي باشر التشريح بنفسه وجعله دأبه ونصب عينه وصنف فيه عدة كتب معظمها موجود لدينا والباقي لم يخرج الى لسان العرب

والذي شاهدنا من حال هذا العضو انه عظم واحد ليس فيه مفصل ولا درز أصلا واعتبرناه ماشاء الله من المرات في اشخاص كثيرة تزيد على ألفي جمجمة بأصناف من الاعتبارات فلم نجده الا عظما واحدا من كل وجه ثم اننا استعنا بجماعة مفترقة اعتبروه بحضرتنا وفي غيبتنا فلم يزيدوا على ماشاهدناه منه وحكيناه وكذلك في أشياء أخر غير هذه ولئن مكنتنا المقادير بالمساعدة وضعنا مقالة في ذلك نحكي فيها ماشاهدناه وما علمناه من كتب جالينوس ثم اني اعتبرت هذا العظم أيضا بمدافن بوصير القديمة المقدم

ذكرها فوجدته على ما حكيت ليس فيه مفصل ولا درز ومن شأن الدروز الخفية والمفاصل الوثيقة اذا تقادم عليها الزمان ان تظهر وتتفرق وهذا الفك الاسفل لا يوجد فى جميع أحواله الا قطعة واحدة

وأما العجز مع العجب ذكر جالينوس انه مؤلف من ستة أعظم ووجدته أنا عظما واحدا واعتبرته بكل وجه من الاعتبار فوجدته عظما واحدا ثم انى اعتبرته فى جثة أخرى فوجدته ستة أعظم كما قال جالينوس وكذلك وجدته فى سائر الجثث على ما قال الا فى جثتين وهو فى الجميع موثق المفاصل ولست واثقا بذلك كما أنا واثق باتحاد عظم الفك الاسفل

ثم انا دخلنا مصر فرأينا فيها دروبا وأسواقا عظيمة كانت مغتصة بالزحام والجميع خال ليس فيه حيوان الا عابر سبيل فى الاحايين وان المار فيها ليستوحش ومع ذلك فقلما ينفك قطر منها عن جثة وعظام متفرقة حتى خرجنا الى موضع يسمى اسكرجة فرعون فرأينا الاقطار كلها مغتصة بالجثث والرمم وغلبت على الاكام بحيث جللتها وكادت تغلب على ترابها ورأينا فى هذه الاسكرجة وهى وهدة عظيمة حين ما أشرفنا عليها الجماجم بيضاء وسوداء ودكاء بعضها على بعض طبقات وقد أخفى كثرتها وتراكمها سائر العظام حتى كأنها رؤس لم يكن معها ابدان يشبهها من ينظرها ببطيخ قد قطع وجمع حتى صار كالبيدر ثم رأيتها بعد أيام وقد عرقتها الشمس وابيضت فشبهتها ببيض النعام المتراكم

ولما رأيت خلو تلك الحارات والاسواق من الناس وامتلاء تلك الصحارى والآكام خيل الى انه سفر ارتحل فاخلا مكانا وشغل آخر هذا مع انه أى جهة نحاها القاصد صادف فيها ما حكينا وأضعافه

ووجد فى ذى الحجة بمصر امرأة ذبحت صبيا لتأكله فأخذت وغرقت ومذ ارتفعت هذه الحال وانقطع خبرها ومشاهدتها لم يوجد سوى هذه المرأة

ومن عجيب الكائنات فى هذه المدة ان مولودا فى سنة سبع وتسعين ولد برأسين وولد مولود آخر أبيض الشعر ورأيته وليس هو كبياض الشيب بل يميل الى صهوبة ما

وولدت فى هذه السنة بغلة ولدا ميتا وبقى فى دار الوالى أياما كثيرة وفى سنة ثمان وتسعين وجدت سخلة ذات لبن كان يخرج من حلمتها كأنه خيط دقيق وأحضرت بدار الوالى مرات وآخر ما احضرت وعمرها أربعة أشهر

وأما خبر النيل فى هذه السنة فنحن نسوقه باختصار أما أولا فانه احترق فى طوبه ثم تزايد احتراقه حتى صار مخاضات للناس والدواب وظهرت الخضرة فيه فى جمادى الآخرة الكائن فى برمهات وتزايدت جدا الى رجب حتى ظهرت فى لونه وطعمه وريحه ثم تناقصت حتى ذهبت أصلا وانتهى احتراقه فى رمضان وانحسر عن المقياس نحو ثمانى مائة ذراع وطالع ابن أبى الرداد باستقرار الماء يوم الثلاثا لخمس بقين من بؤونه وأربع بقين من رمضان من سنة ثمان وتسعين فكان القاع ذراعا ونصفا وكان فى السنة الخالية ذراعين وابتدأ بالزيادة فى السنة الخالية مذ هذا اليوم فاما فى هذه السنة فان زيادته تأخرت الى الخامس والعشرين من أبيب لم يزد فى هذه المدة سوى أربع أصابع حتى سأت ظنون الناس وشملهم اليأس وظنوا ان حادثا وقع بفوهته وعند مبدأ جريته ثم أخذ فى الزيادة حتى انسلخ أبيب وهو على ثلاث أذرع ووقف يومين فاشتد هلع الناس لخروجه فى التوقف عن المعتاد ثم انه اندفع بقوة قوية وزيادات متداركة وجبال من المياه متدافعة فزاد ثمانى أذرع فى مدة عشرة أيام منها ثلاث أذرع متوالية وانتهى فى رابع توت وهو الثانى عشر من ذى الحجة الى ست عشرة ذراعا تنقص أصبعا وأقام يومين ثم أخذ ينحط متباطيا وينصرف رويدا

فهذا ما قصدت اقتصاصه من أحوال هذه الكائنة فليكن آخر المقالة ومنتهى الكتاب

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على
سيد المرسلين سيدنا محمد النبى
الامى وعلى آله الطيبين
الطاهرين

م

(ترجمة)

الشيخ الطبيب المشهور بابن جلجل من كتاب مناقب الاطباء لابن أبي أصيبعة المذكور

(ملحقة)

بكتاب الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر

للشيخ عبد اللطيف البغدادي رحمه الله تعالى

ابن جلجل هو أبو داود سليمان بن حسان يعرف بابن جلجل كان طبيبا فاضلا خبيرا بالمعالجات جيد التصرف في صناعة الطب وكان في أيام هشام المؤيد بالله خدمه بالطب وله بصيرة واعتناء بقوى الادوية المفردة وقد فسر أسماء الادوية المفردة من كتاب ديسقوريدس العين زربي وافصح عن مكنونها وأوضح مستغلق مضمونها وهو يقول في أول كتابه هذا ان كتاب ديسقوريدس ترجم بمدينة السلام في الدولة العباسية في أيام جعفر المتوكل فكان المترجم له اصطوفان من تلك الاسماء اليونانية في وقته فما عرف له اسما في اللسان العربي فسره بالعربية وما لم يعلم له في اللسان العربي اسما تركه في الكتاب على اسمه اليوناني اتكالا منه على ان يبعث الله بعده من يعرف ذلك و يفسره باللسان العربي اذ التسمية لا تكون الا بالتواطئ من أهل كل بلد على أعيان الادوية بما رأى وان يسموا ذلك أما باشتقاق وأما من ذلك بتواطئهم على التسمية فاتكل اصطوفان على شخوص يأتون بعده ممن قد يعرف أعيان الادوية التي لم يعرف هو لها أسماء في وقته وليسمها على قدر ما سمع في ذلك الوقت فيخرج الى المعرفة قال ابن جلجل وورد هذا الكتاب الى الاندلس وهو على ترجمة اصطوفان منه ما عرف له أسماء بالعربية ومنه ما لم يعرف له أسما فانتفع الناس بالمعروف منه بالمشرق والاندلس الى أيام الناصر عبد الرحمن بن محمد وهو يومئذ صاحب الاندلس فكاتبه ارمانيوس الملك ملك القسطنطينية أحسب في سنة سبع وثلاثين وثلثمائة وهاداه بهدايا لها قدر عظيم وكان في جملة هديته كتاب ديسقوريدس مصور الحشائش بالتصوير الرومي العجيب وكان الكتاب مكتوبا بالاغريقي الذي هو اليوناني وبعث معه كتاب هروشيوش صاحب القصص وهو تاريخ للروم عجيب فيه أخبار الدهور وقصص

الملوك الاولى وفوائد عظيمة وكتب ارمانيوس فى كتابه الى الناصر ان كتاب
ديوسقوريدس لا تجتنى فائدته الا برجل يحسن العبارة باللسان اليونانى و يعرف
أشخاص تلك الادوية فان كان فى بلدك من يحسن ذلك فزت أيها الملك بفائدة الكتاب
وأما كتاب هرشيوش فعندك فى بلدك من اللاطينيين من يقرؤه باللسان اللاطينى وان
كشفتهم عليه نقلوه لك من اللاطينى الى اللسان العربى قال ابن جلجل ولم يكن يومئذ
بقرطبة من نصارى الاندلس من يقرأ الاغريقى الذى هو اليونانى القديم فبقى كتاب
دسقوريدس فى خزانة عبد الرحمن الناصر باللسان الاغريقى ولم يترجم الى اللسان
العربى وبقى الكتاب بالاندلس والذى بين أيدى الناس ترجمة اصطوفان الواردة
من مدينة السلام بغداد فلما جاوب الناصر ارمنيوس الملك سأله ان يبعث اليه برجل
يتكلم بالاغريقى واللاطينى ليعلم له عبيدا يكونون مترجمين فبعث اليه ارمانيوس
الملك براهب كان يسمى نقولا فوصل الى قرطبة سنة أربعين وثلاثمائة وكان يومئذ
بقرطبة من الاطباء قوم لهم بحث وتفتيش وحرص على استخراج ما جهل من أسماء
عقاقير دسقوريدس الى العربية وكان أبحثهم وأحرصهم الى ذلك من جهة التقرب
الى الملك عبد الرحمن الناصر حسداى بن بشروط الاسرائيلى وكان نقولا الراهب عنده
احظا الناس وأخصهم به وفسر من أسماء عقاقير كتاب دسقوريدس ما كان مجهولا
وهو أول من عمل بقرطبة الترياق على تصحيح الشجارية التى فيه وكان فى ذلك الوقت من
الاطباء الباحثين عن أسماء عقاقير الكتاب وتعيين أشخاصه محمد المعروف بالشجار
ورجل كان يعرف بالبسباسى وأبو عثمان الجزار الملقب باليابسى ومحمد بن سعيد
الطبيب وعبد الرحمن بن اسحاق بن هيثم وأبو عبد الله الصقلى وكان يتكلم باليونانية
ويعرف أشخاص الادوية قال ابن جلجل وكان هؤلاء النفر كلهم فى زمان واحد مع نقولا
الراهب أدركتهم وأدركت نقولا الراهب فى أيام المستنصر وصحبتهم فى أيام المستنصر
الحكم وفى صدر دولته مات نقولا الراهب فصح بحث هؤلاء النفر الباحثين عن أسماء
عقاقير كتاب دسقوريدس بتصحيح الوقوف على أشخاصها بمدينة قرطبة خاصة بناحية
الاندلس ما أزال الشك فيها عن القلوب وأوجب المعرفة بها والوقوف على أشخاصها
وتصحيح النطق بأسمائها بلا تصحيف الا القليل منها الذى لا بال به ولا خطر له وذلك يكون
فى

في مثل عشرة أدوية قال وكان لي في معرفة تصحيح هيولى الطب الذي هو أصل الادوية المركبة حرص شديد وبحث عظيم وهبني الله من ذلك بفضله بقدر ما اطلع عليه من نيتي في احياء ما خفت ان يدرس وتذهب منفعته لابدان الناس فالله قد خلق الشفا وبثته فيما انبته الارض واستقر عليها من الحيوان المشاء والسائح في الماء والمنساب وما يكون تحت الارض في جوفها من المعدنية كل ذلك فيه شفاء ورحمة ورفق ولابن جلجل من الكتب كتاب تفسير أسماء الادوية المفردة من كتاب ديسقوريدس ألفه في شهر ربيع الآخرة سنة اثنين وسبعين وثلثمائة بمدينة قرطبة في دولة هشام بن الحكم المؤيد بالله ومقالة في ذكر الادوية التي لم يذكرها ديسقوريدس في كتابه مما يستعمل في صناعة الطب وينتفع به وما لا يستعمل لكي لا يغفل ذكره قال ابن جلجل ان ديسقوريدس أغفل ذلك ولم يذكره أما لانه لم يره ولم يشاهده عيانا وأما لان ذلك كان غير مستعمل في دهره وأبناء جنسه ورسالة التبيين فيما غلط فيه بعض المتطبيين وكتاب يتضمن ذكر شيء من أخبار الاطباء والفلاسفة في أيام المؤيد بالله

تم

❀(فهرست الفصول والمواد)❀

الموجودة فى كتاب الافادة والاعتبار فى الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر لعبد اللطيف البغدادى

صحيفه